دراسات إسلامية

للدكتور
جمال رجب سيدبى

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين

أما بعد . . .

هذا المبحث ، يحتوى على مجموعة من الدراسات الإسلامية ، أولها : الإسلام منهج الشمول والتوازن " ، حاولت أن أعرض فيه لمعنى " الشمول والتوازن " قدر الطاقة وفى الحدود المرسومة للموضوع .

ثم بعد ذلك عرضت لتفسير سورة الحجرات ، لإيماننا أنها تحتوى على العديد ، والعديد من الدروس الأخلاقية السامية التى نحن أحوج مانكون إلى الأستفادة منها فى حياتنا المعاصرة.

بعد ذلك يجد القارئ مجموعة من الدراسات والموضوعات كالشريعة الإسلامية وخصائصها ، تاريخ جمع القرآن ، الوحى ، الفرق بين القرآن المكى والمدنى وغيره من الموضوعات .

وفى خاتمة الدراسة عرضنا لمبحث فقهى من " العبادات " (الوضوء) .

ولقد راعينا فى هذه الدراسة الشمول مع الإيجاز (إلى حد ما) ، وهو هدف تربوى ، نأمل منه أن يفتح أمام طالب المعرفة ، المزيد من البحث العلمى

والله هو الموفق للسداد .

الإسلام منهج الشمول والتوازن

الإسلام منهج شامل متوازن ، يعالج كافة القضايا التى تهتم بالكون والحياه والإنسان .

ومنهجية الإسلام أو طريقة الإسلام هو أنه حاول أن يضع الأطر العامة لكافة القضايا والموضوعات فى شموليه متوازنة .

بيد أن نفراً من المستشرقين يحاولون أن يعرضوا الإسلام على أنه عقيدة فقط فى النفوس ، ولايشمل كافة جوانب الحياة .

وذهب على نفس الدرب بعض الدارسين المسلمين ، وربما يعود إلى عدم المعرفة الصحيحة لهذا الدين .والسؤال الذى نود أن نطرحه . . . مامعنى أن الإسلام منهج شامل متوازن ؟

نود أن نلقى الضوء على عدة أفكار : -

أولاً : الإسلام عقيدة وشريعة : -

مما لاشك فيه أن الإسلام عقيدة وشريعة وإن كانت العقيدة هى الإيمان القلبى فإن الشريعة هى التطبيق العملى لهذا الدين ، ولا أنفصال بينهما . أى أنهما وجهان لعملة واحدة فلا شريعة بلا عقيدة وإن كان من الممكن القول بالعقيدة دون شريعة إلى حدما .

ولقد عبر القرآن الكريم عن العقيدة " بالإيمان " وعن الشريعة " بالعمل الصالح " وجاء ذلك فى كثير من آياته الصريحة : " إن الذين آمنو وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لايبغون عنها حولا " آيه ١٠٧ ، ١٠٨ من سورة الكهف ، " : من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزيهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون ، الآيه ٩٨ من سورة النمل ، " والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصاحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر سورة العصر " ، " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، الآيه ١٣ من سورة الاحقاف " [١]

إذن الشريعة هى هذا التطبيق للعقيدة ، فالعقيدة هى الأصل والشريعة هى الفرع ، فلا شريعة بدون عقيدة .

وما دام المؤمن قد آمن بهذه العقيدة عن اقتناع ، وانفعل قلبه بها ، فهمو حتما يطبق هذه الشريعة فى ميدان حياته ، وبناء على ذلك ، فالمسلم الصحيح الإيمان هو المؤمن بالإسلام شريعة وعقيدة .

---

(١) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة الناشر دار الشروق الطبعة الثالثة ١٩٨٥ ص١٠

وأما من آمن بالعقيدة ، والغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة لايكون مسلماً عند الله ولاسالكاً فى حكم الإسلام سبيل النجاة (١)

وليس وليد الصدفة أن يكون ترسيخ العقيدة فى النفوس أشد خطراً من التطبيق العملى للشريعة ، لأن العقيدة إذ لم تصل إلى أعماق القلب وتتصل بكافة أو صاله فما كان للشريعة معنى ؟

ولذا . . . نجد أن الرسول (ﷺ) لم يلجأ إلى تطبيق الشريعة فى كافة ميادين الحياه إلا بعد أن تعمقت العقيدة وتخمرت فى نفوس أصحابها وأشربت بأرواحهم ونفوسهم .

لقد ظل الرسول (ﷺ) يوضح للمسلمين معنى " الوحدانية " طيلة ثلاثة عشر عاماً ، ثم بعد ذلك أسس الدولة فى المدينة وطبق فيها الإسلام فى كافة مناحى الحياه .

العقائد الأساسية فى الإسلام :

نود أن نشير فى إيجاز اليها :

- الإيمان بالله وحده ولاشريك له .
- الإيمان بالرسل .

---

(٢) محمود شلتوت : المرجع السابق ص ١١

- الإيمان بالغيب : الجنة والنار ، والكتاب ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره . . . إلخ .

ولن نقف طويلاً عند هذه العقائد الأساسية ، إذ أن هذه الأمور اصبحت لايجهلها المسلم الآن ، إذ أن عقيدة التوحيد قامت فى الإسلام على التفرد والتنزيه للألوهية ، والقرآن الكريم حافل بالآيات القرآنية ، والأدلة العقلية ، التى تخاطب النفس والعقل معاً وتعطينا الأدلة والبراهين على وجود الله ، ولقد جاءت سورة الإخلاص معبرة عن هذه الحقيقة كأبلغ حديث : " قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد " .

ويرى أحد الدارسين أن مذهبية الإسلام قد قامت على هذا التوازن ،لأن عقول العقلاء ، وفطرة قطاعات واسعة من الجماهير ، خارج دائرة التدين بالإسلام ، تدرك أكثر فأكثر - وخاصة بعد سقوط وتراجع الأيدلوجيات المادية والوضعية والعلمانية - إن السبيل الإيمانى والنظرة الإيمانية - التى ظل الإسلام راعفاً لأعلامها . هى سبيل " المنفعة - الحقة " و السعادة - الحقيقية للإنسان فى هذه الحياة . . . وهنا يضيف الإسلام إلى هذا الذى بدأت الإنسانية أكتشافه والإتجاه نحوه . . عندما يؤكد على أن معيار " سعادة الدنيا " هو " سعادة الآخرة " - لأن الوقوف عند : سعادة الدنيا " هو وقوف عند " المادة " ، " اللذة " و "الشهوة : أى أنه ، فى الحقيقة " الخلل " الذى لاعلاقة له بالتوازن المنشود ؟!

فالذين لايعلمون إلا " ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " الروم آية ٧ ، لابد وأن تكون دنياهم ، فقط " لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً " الحديد ٢٠ . [(١)]

وينتهى الباحث إلى عمق هذا الدين ، عند يعلمنا أن إقامة العلاقة بين " سنن الله " : المبثوثة فى " كتاب الوحى " وبين " سنن الأنفس والآفاق " المخلوقة فى الاجتماع الانسانى ، وفى الكون المادى . إنما هى فريضة دينية ، وواجب الهى ، وتكليف شرعى بدون الالتزام به يكون الإنسان عاصياً للخالق ، وناقضاً لعقد وعهد خلافته عن الله فى إقامة العمران البشرى وخائنا للأمانة التى حملها وهو حر مختار . . فالصبغة الإسلامية ، والطابع الإيمانى ، والمعايير الشرعية للعمران الإنسانى ، ليست مجرد خيار واختيار محقق للتوازن ومن ثم للمنفعة والسعادة ، وإنما هى تكاليف وفرائض وواجبات دينية لايصح الإيمان الدينى بإنكارها ومحورها ، ولا يكتمل بتعطيلها . . إنها عبادة المخلوق للخالق فى شئون العمران البشرى ، كما أن الصلاة والصوم - وغيرهما من التكاليف الفردية - هى عبادة المخلوق للخالق بها تؤدى شعائر التكاليف الدينية ! [(٢)]

---

(١) د . محمد عمارة : الإسلام والسياسة (الرد على شبهات العلمانيين) سلسلة البحوث الإسلامية ١٩٩٢ ص ٣٠ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٣١.

ثانياً : العلم فى الإسلام :-

لاريب أن الإسلام ينبهنا على الإحتفاء بعلوم الدين ، وعلوم الدنيا ، ولايعرف الإسلام هذا الإنفصام بينهما ، بل هما عروة وثقى ، ولذلك كان هذا المسلك ، هو الذى طبقه العالم المسلم كابن رشد الفيلسوف المسلم ، فقد كان فقيها وله كتبه الفقهية المشهود مثل " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " وهو يعتبر عمدة فى بابه وكان فى نفس الآن طبيبا وفيلسوفاً . . . إلخ وغيره الكثير كابن سينا وابن الهيثم . فلم يكن اهتمام ابن راشد بالفقه حائلاً عن أن يهتم بعلوم الدين كالطب وغيره ، وهذه النظرة الشمولية الموسوعية المتوازنة هى التى يعلمنا إياها الدين الإسلامى والتي طبقها المفكرون المسلمون فيما بعد " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا " .

وعلى هذا الضوء ، ذهب حجة الإسلام الإمام الغزالى يوضح هذا الإرتباط بين علوم الدين والدنيا فيقول : " تنقسم العلوم إلى شرعية وغير شرعية ، فالعلو م التى ليست بشرعية تنقسم الى ماهو محمود وإلى ماهو مذموم وإلى ماهو مباح ، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ماهو فرض كفاية وإلى ماهو فضيلة وليس بفريضة . أما فرض الكفاية فهو علم لايستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب ، إذ هو

ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب ، فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما . وهذه العلوم التى لوخلا البلد عمن يقوم بها حُرِج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين . فلا تتعجب من قولنا إن الطب والحساب من الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة ، فإنه لوخلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله واعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله .

وأما مايعد فضيلة لافريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما لايستغنى عنه ، ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه ، وأما المذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات . وأما المباح فالعلم بالأشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الأخبار ومايجرى مجراه . [١]

وعلى هذا لم يعرف الفكر الإسلامى فى عصورنا الخوالى ، هذا الفصل بين علوم الدين والدنيا ، ولقد عرف المفكر المسلم كيف يوازن بين هذا وذاك ، فالدنيا لاتنفصل عن الآخرة ، ولذلك نجد الغزالى يقول أيضاً : " الفقيه هو

(١) أبو حامد الغزالى : احياء علوم الدين ، جزء أول الناشر المكتبة التجارية الكبرى ص ١٦ .

العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات ، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم فى الدنيا ، ولعمرى إنه متعلق إيضاً بالدين ، لكن لابنفسه بل بواسطة الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة الآخرة ، لايتم الدين إلا بالدنيا ، والملك والدين توأمان ، فالدين أصل والسلطان حارس ، وما لاأصل له فمهدوم ، ومالاحارس له فضائع ولايتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه .[1]

وهذا الكلام انقله هنا بنصه من الإمام الغزالى ، المفكر الإسلامى ، ولأوضح كم كان أسلافنا يفهمون الإسلام منذ قرون عديدة على أنه منهج شامل متوازن لكافة قضايا الوجود والحياة والإنسان ، ولم يعرف الإسلام أن يهتم بجزئية من شئون الحياة ويترك الآخرة ، بل لم يترك شاردة ولاواردة إلا وحاول أن يلقى الأضواء والظلال حولها .

فالغزالى لم يفرق بين علوم الدين (العلوم الشرعية) وعلوم الدنيا ، بل واجب على الأمة الاحتفاء بهما ، وكذا الفقيه يجب أن يكون عالماً بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق وعلى حد تعبيره الدين والملك توأمان

---

(١) : المرجع السابق : ص ١٧

فالدين أصل والسلطان حارس . ولعمرى . . . ماأجل هذا التصوير والتعبير ، وكما يقولون مالايزع بالقرآن يزع بالسلطان هكذا ينبهنا الغزالى منذ قرون خلت !!

ومازال البعض يتهم الفكر الإسلامى بالجمود والتخلف عن الركب الحضاري ؟

إن الإسلام هو المنهج أو المذهب أو النظام الوحيد فى العالم ، الذى مصدره كلمات الله وحدها ، غير محرفة ولامبدلة ولا مخلوطة بأوهام البشر ، وأغلاط البشر ، وانحرافات البشر .

والمناهج أو الأنظمة التى نراها فى العالم الى اليوم ثلاثة ، فيما عدا الإسلام طبعاً .

١ - منهج أو مذهب أو نظام مدنى بشرى محض ، مصدره التفكير العقلى أو الفلسفى لبشر فرد ، أو مجموعة من الأفراد ، كالشيوعية والرأسمالية والوجودية وغيرها .

٢ - منهج أو نظام دينى بشرى كذلك ، مثل الديانة البوذية القائمة فى الصين واليابان والهند التى لايعرف لها أصل الهى أو كتاب سماوى ، فمصدرها إذن فكر بشرى .

٣ - منهج أو مذهب دينى محرف ، فهو - وإن كان الهيا فى أصله - عملت فيه يد التحريف والتبديل فأدخلت فيه ماليس منه ، وحذفت منه ماهو فيه ، واختلط فيه كلام الله بكلام البشر ، فلم يبق ثمة ثقة بربانية مصدره ، وذلك كاليهودية والنصرانية ، بعد ثبوت التحريف فى التوارة والإنجيل نفسيهما ، فضلا عما أضيف اليهما من شروح وتأويلات ومعلومات بشرية ، بدلت المراد من كلام الله .

أما الإسلام فهو المنهج الفذ الذى سلم مصدره من تدخل البشر ، ذلك أن الله تولى حفظ كتابة ودستوره الأساس بنفسه وهو القرآن المجيد ، وأعلن ذلك لنبيه وأمته فقال : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " الحجر آيه ٩ . (١)

المتأمل فى الكون حولنا يجد أن يقوم على قاعدة الوسيطة والتوازن فى الكون ، من أجل أن يسير كل شيء فى الوجود على أتم وأفضل نظام " لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " .

---

(١) د . يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، الناشر مكتبة وهبه ص ٣٥ .

ولايخلوا أى نظام من صنع البشر من الإفراط أو التفريط ، فكل قانون مرتبط بظروف زمانه ومكانه وإن صلح لوقت من الأوقات ، فهو لايصلح فى وقت آخر هذا عكس النظام الإلهى خالد وصالح لكل زمان ومكان .

فالمذاهب الأرضية أو الوضعية التى نرها حولنا الآن لاتتصف بهذه السمات (التوازن والشمول) ، فنجد أنها تصطدم بالفطرة الإنسانية فها هى الشيوعية التي كانت لها صولة وجولة فى وقت من الأوقات ، اضحت الآن فى خبر كان ؟ لماذا لأن الشيوعية مذهب وضعى قام على فكر بشرى (ماركس) ولذلك مهما أوتى صاحب المذهب من عبقرية ، فلن يستطيع أن يحيط علماً بمكنون الكينونه البشرية ومن هنا نجد أن الشيوعية كمذهب قد باءت بالفشل الذريع لدرجة أن روسيا أيام القياصرة وقبل الثورة البلشفية الدموية (١٩١٧) م كانت أحسن حالاً فى إنتاج القمح عما آلت إليه بعد تطبيق المذهب الشيوعى ، كما أو أنصار الحزب الشيوعى يتمتعون بمزايا خاصة وشوارع خاصة ودخول خاصة ، ففهم إذن التوازن وأين الوسيطة ؟

وغير هذه من المذاهب الأرضية ، كالرأسمالية وغيرها مآلها إلى الزوال حتماً ، لأنها جميعاً تصطدم مع الفطرة الإنسانية ، ولأن القانون الإلهى أو النظام الإلهى (System) وحده هو الذى يتمثل فى رسالة الإسلام كرسالة وسطية

خالدة متوازنة " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " .

وعلى سبيل المثال أيضاً ، فإن الماديين يقيمون تفسيرهم للحياة البشرية على أساس أن الصراع الطبقى هو قوام هذه الحياة منذ خرج الناس من الشيوعية الأولى حتى يعود إلى الشيوعية الثانية ، وأن هذا الصراع الطبقى متعلق بالملكية الفردية فلا يزول من الأرض حتى تزول الملكية الفردية ، وبمجرد أن تزول الملكية الفردية يرجع الناس إلى الحياة الملائكية التى كانوا عليا أيام الشيوعية الأول وتستريح البشرية من الصراع .

وفى الشيوعية تقول النظرية إن طبقه " البروليتاريا " أى الطبقة الكادحة هى التى تملك وتحكم ، وتبيد الطبقات الأخرى جميعاً فينتهى الصراع الطبقى بإبادة الأطراف التى يمكن أن تصارع البرويتاريا فى أى وقت من الأوقات .

فى النظام الربانى لايوجد شئ من هذا كله .

حقيقة أنه توجد ملكية ويوجد فى المجتمع اغنياء وفقراء . . ولكن لا الاغنياء طبقة ولا الفقراء طبقة ، فالثروة فى المجتمع الإسلامى دائمة التنقل من جيل إلى جيل بحيث لاتكون " طبقة " دائمة من أفراد معنين أو أسر معينة

تتوارث وضعاً إجتماعياً معيناً . فأى فقير يمكن أن يتحول إلى غنى ، وأى غنى يمكن أن يتحول إلى فقير ، فلا يحجزه شيء عن أن يكون هذا أو ذاك ، يحسب تصرفه الشخصى من ناحية وبسبب حركة المواريث الدائمة التى تفتت الثروة من مكان وتجمعها فى مكان آخر .

فالتفسير المادى للتاريخ فنجده يحصر الصراع كله فى الصراع الطبقى ويحصر أسباب الصراع فى الملكية الفردية ، ثم يزعم أن الصراع سيتوقف حين تزول الملكية الفرية ، وبصرف النظر عن دلالة التاريخ نقول إنه قامت فى الأرض - سواء فى الجاهليات أو فى الإسلام - صراعات كثيرة قائمة على الصراع الطبقى وغير منبعثة من الملكية الفردية ، فإنه يهمنا فى ختام هذه الفقرة أن نكشف عن زيف الدعوى القائلة بأن الغاء الملكية الفردية سيقضى على الصراع .

فالشيوعية قد الغت الملكية الفردية .

فيم إذن قام الصراع بين لينين وتروتسكى بين ستالين وبيريا .(١)

لعلنا بهذا ، قد اقتنعنا ، بأن هذه المذاهب الأرضية لم تستطع أن تقيم جنة الفردوس المفقود على سطح الأرض ، وإنما الإسلام وحده هو الذى يستطيع

---

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، الناشر دار الشروق طبعة ثالثة ١٩٨٨ ص ٢٧٥ .

أن يجسد هذه الحقيقة شريطة أن نطبقه بشمولية فى كل حياتنا وأمور ديننا ومعادنا .

كما أن الإسلام جاء بالتوازن بين مطالب الروح والجسد ، بحيث لايطغى هذا على ذاك ، وهو بهذا يهدف إلى خلق الشخصية الإنسانية السويه التى تسعد فى الدارين الدنيا والآخرة .

وكان من دعاء الرسول (ﷺ) " اللهم لاتجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا واجعلها فى أيدينا ولاتجعلها فى قلوبنا : فالرسول (ﷺ) لم يدعُ إلى نبذ الدينا وراء ظهورنا كلية ، كما أنه لم يدعُ أن نكون غارقين فيها إلى الأذقان ، وإنما يريد أن نعطى للدنيا حقها وللآخرة حقها بالقسطاس المستقيم ، وكان من دعائه : " اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التي فيها معاشى ، واصلح لى آخرى التى اليه معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر " رواه مسلم .

كما أن شمول الأسلام يعنى شمول التشريع فالتشريع فى الإسلام تشريع شامل كذلك أنه لايشرع للفرد دون الأسرة ، ولاللأسرة دون المجتمع ،ولا للمجتمع منعزلاً عن غيره من المجتمعات .

إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد فى تعبده ، وصلته بربه وهذا مايفصله قسم العبادات فى الفقه الإسلامى ، وهو مالايوجد فى التشريعات الوضعية ، ويشمل التشريع للفرد في سلوكه العام والخاص ، وهذا يشمل مايسمى " الحلال ولحرام " أو الحظر والإباحة . ويشمل التشريع مايتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق يشمل مايسمى فى عصرنا الأحوال الشخصية ، ويشمل التشريع للمجتمع فى علاقاته المدينة والتجارية ومايتصل بتبادل الأحوال والمنافع بعوض أو بغير عوض فى البيوع والأجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة وغيرها ، مما تتضمنه فى عصرنا القونين المدنية والتجارية ويشمل التشريع مايتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص ، والمتروكة لأهل الشأن كالتعازير وهذا يشمل مايسمى الآن " التشريع الجنائى " أو " الجزائى " وقوانين العقوبات ويشمل التشريع الإسلامى مايتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين وواجب المحكومين نحو الحكام وتنظيم الصلة بين الطرفين ، مما عنيت به كتب السياسة الشرعية ، والخراج والأحكام السلطانية فى الفقه الإسلامى وتتضمنه فى عصرنا من التشريع الدستورى ، أو " الإدارى " والمالى ويشمل التشريع الإسلامى ماينظم العلاقات الدولية فى السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم مماعنيت به كتب "

السير " أو " الجهاز " فى فقهنا الإسلامى وما ينظمه فى عصرنا القانون الدولى ومن هنا لاتوجد ناحية من نواحى الحياة إلا ودخل فيها التشريع .[١]

وإذا كان الإسلام دين الشمول ، فهو أيضاً دين التوازن وهو ماعبر عنه القرآن الكريم بالوسطيه فالوسطيه تعنى التوازن أو الاستقامه ، أو الاعتدال فالكل بمعنى واحد .

فالمناهج والفلسفات الوضعيه والفلسفات المختلفة - كما قلنا - قد افلست فى خلق منهج متوازن مثل منهج الإسلام ، والله خلق الكون على أساس قانون التوازن والتعادل ، فالوجود بمايحوى من كمية هائلة من آلاف المجرات وآلاف المجموعات الشمسية حتى يخيل إلينا أن كوكب الأرض فى النهاية مجرد ذرة فى هذا الوجود الهائل ، وكل كوكب يسير فى محوره بنظام وتوازن دقيق لايحيد عنه قيد شعرة وكما عبر القرآن عن ذلك : " لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " .

فكما أن كون الله تحكمه الوسطيه أو التوازن ، كذلك منهج الله الممثل فى الرسالة الخاتمة " الإسلام " يحكمها قانون التعادل أو التوازن من أجل خلق الإنسان المتوازن فى السلوك والحياة وهذا ماعبر عنه القرآن الكريم " وكذلك

(١) د . يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام الناشر مكتبة وهبه ص ١١٠ .

جلعناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " ، إن الوسطيه أو التوازن الذى يحكم النظام الكونى ، هو التوازن الذى ينظم للإنسان حياته فوق سطح الأرض مثلاً فى رسالة الإسلام لأن المصدر والينبوع واحد هو الخالق المبدع سبحانه وتعالى .

من أجل هذا ، فعندما يستقيم أمر الإنسان على منهج الله ، يستقيم أمره مع كون الله . [1]

---

(١) د . جمال رجب سيدبى : الإسلام منهج الشمول والتوازن ، جريدة النور ، عدد ٣٢٧ يونيو ١٩٨٨ ص ٣ .

تفسير سورة الحجرات

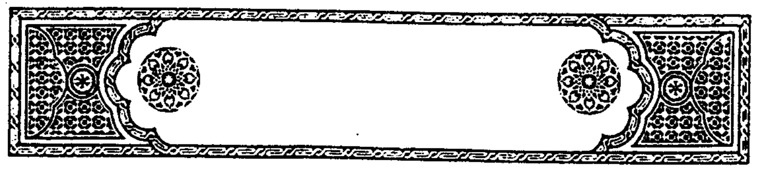


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ
أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ
رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾
وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي

تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ
مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ
خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ
ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ
وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا
فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ
إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ
إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ
ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ
وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ
لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ

قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾



التفسير

" ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم "

أدب المعاملة مع الله ورسوله

تبدأ الآيه ، بهذا النداء ، الندى الجميل ، إلى أهل الإيمان والتقوى والفلاح ، بأن لايجتهدوا فى أى أمر من أمور دينهم قضى فيه الله ورسوله .

وروى أن المقصود : أى لاتقدموا قولاً ولافعلاً بين يدى الله وقول رسوله وفعله فيما سبيلهُ أث تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا . ومن قَدم قَوله أو فعله على الرسول (ﷺ) فقد قدمه على الله تعالى ، لأن الرسول (ﷺ) إنما يأمر عن أمر الله عز وجل (القرطبى : الجامع لأحكام القرآن المجلد الثامن ص ٣٠٠) . وقال الضحاك : لاتقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم .

والآية تنتهى بالدعوة إلى تقوى الله واستجاشة المشاعر الإيمانية ، لأن الله سامع لأقوالهم عالم بنياتهم .

فهو أدب نفسى مع الله ورسوله . وهو منهج فى التلقى والتنفيذ . وهو أصل من أصول التشريع والعمل فى الوقت ذاته . . . وهو منبثق من تقوى الله ، وراجع إليها ، هذه التقوى النابعة من الشعور بأن الله سميع عليم . . وكل ذلك فى آية واحدة قصيرة ، تلمس وتصور كل هذه الحقائق الأصيلة الكبيرة .

وكذلك تأدب المؤمنون مع ربهم ومع رسولهم ، فما عاد مقترح على الله ورسوله وماعاد منهم يدلى برأى لم يطلب منه رسول الله - (ﷺ) - أن يدلى به ، وما عاد أحد منهم يقضى برأيه فى أمر أو حكم ، إلا أن يرجع قبل ذلك إلى قول الله وقول الرسول . (سيد قطب : فى ظلال القرآن جزء ٦ ص ٣٣٣٨ .

هذا هو أدب الماملة الرفيع ، والذى يعلمنا إياه القرآن فى التعامل مع الله ورسوله فى القول والفعل .

جاء فى حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى - رضى الله عنه - أن النبى (ﷺ) - سأل فى حجة الوداع : " أى شهر هذا ؟ " . . قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت . حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : " أليس ذا الحجة ؟ " قلنا : بلى ! قال : " أى بلد هذا " قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . فقال : " أليس البلدة الحرام ؟ " قلنا : بلى ! قال : " فأى يوم هذا ؟ " قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا

أنه سيسميه بغير أسمه. فقال : " أليس يوم النحر ؟ " قلنا : بلى فأى أدب هذا ارتفع إليه المسلمون فى ذلك الزمان. فهذه صورة من الأدب ، ومن التحرج ، ومن التقوى ، التى آنتهى اليها المسلمون بعد سماعهم ذلك النداء ، وذلك التوجيه ، وتلك الإشارة إلى التقوى ، تقوى الله السميع العليم .

" ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون " .

إن النبى (ﷺ) الذى يتلقى منهج الهداية من رب العالمين لاينبغى لنا نحن المسلمين أن نجاهره بالقول كجهر بعضنا لبعض ، وهو أدب وخلق رفيع فى معاملة النبى (ﷺ) .

وقال عطاء الخراسانى : حدثنى ابنة ثابت بن قيس قالت : لما نزلت : يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى " دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه ، ففقده النبى (ﷺ) فأرسل إله يسأله ماخبره ، فقال أنا رجل شديد الصوت ، أخاف أن يكون حبط على ، فقال عليه السلام : " لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير " (القرطبى ص ٣٠٥) .

فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب ، وذلك التحذير الرعيب ، وهكذا تأدبوا فى حضرة رسول الله (ﷺ) خشية أن تحبط

أعمالهم وهم لايشعرون ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم ! ولكن هذا المنزلق الخافى عليهم كان أخوف عليهم ، فخافوه واتقوه !(الظلال ص٣٣٣٩) .

" إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم "

وتذكر الآية هؤلاء المؤمنين الذين لايرفعون أصواتهم فى حضرة رسول لله توقيراً واحتراماً وتعظيماً ، كيف لها هو المبلغ عن الله ، كيف لا وهو الذي بعثه الله هادياً ونذيراً ، وهو أسلوب من أساليب التربية ، لمن أراد الله به خيراً ، وتعمق الإيمان من نفسه أوعلى حد تعبير ابن كثير رحمه الله فى تعقيبه عن التقوى أى لمن أخلصها لها وجعلها أهلاً ومحلاً . (ابن كثير طبعة دارالفكر العربى جزء ٤ ص ٢٠٨ طبعة دار الفكر) .وقال ابن عباس : " امتحن اللهُ قلوبهم للتقوى" طهرهم من كل قبيح ، وجعل فى قلوبهم الخوف من الله والتقوى (القرطبى ص ٣٠٩) .

" لهم مغفرة وأجر عظيم " أى لهم فى الآخرة صفح عن ذنوبهم وثواب عظيم فى جنات النعيم . (محمد على الصابونى : صفوة التفاسير جزء ١٦ ص ٢٣٣) .

" إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون . ولا أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم "

وروى القرطبي أن سبب نزول هذه الآية ،روى زيد بن أرقم فقال : أتى أناس النبى (ﷺ) فقال بعضهم البعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس باتباعه ، وإن يكن ملكا نعش فى جنابه ، فأتوا النبى (ﷺ) فجعلوا ينادونه وهو فى حجرته : يامحمد يامحمد فأنزل الله تعالى هذه الآية . قيل إنهم كانوا من بنى تميم . (القرطبى الجامع لأحكام القرآن ص ٣٠٩) .

ويبدو من سياق الآية ، أن هؤلاء العرب الأجلاف قد آذوا مشاعر النبى (ﷺ) النفسية فى خطابهم بهذه الجفوة وسوء الطبع ، ولهذا جاء القرآن ليعبر عن هذه الأحاسيس المتبلدة والمشاعر المتحجرة منهم ، بقوله " أكثرهم لايعقلون " ، لأنه لو كانوا يعقلون الأمر على مداره الصحيح لما خاطبوا نبيهم أمام أزواجه وأمام حجراته بهذا الأسلوب المقلق ، والآية ترسم أسلوب تربوى عظيم فى معاملة القدوة والمثل ، فالرسول (ﷺ) هو المثل الأعلى والقدوة الطيبة ، كان ينبغى على هؤلاء الأعراب الأجلاف أن يعاملوه برفق ولين طبع بدل هذه الخشونة فى الطبع والمسلك ،

وقد كان حري بهم أن يصبروا حتى يخرج اليهم رسول الله .

وما أجدرنا نحن المسلمين أن نستلهم من هذه الآداب القرآنية والأساليب التربويه والأخلاقية فى معاملاتنا مع قدوتنا وعلمائنا وأساتذتنا ومربينا ، وأن نستلهم المنهاج الصحيح فى معاملاتنا كلها .

ويعلق الأستاذ سيد قطب على هذه الآية بقوله : وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع وتجاوزوا به شخص رسول الله (ﷺ) إلى كل أستاذ علم . ولايزعجونه حتى يخرج إليهم ، ولايقتحمون عليه حتى يدعوهم . . يحكى عن أبى عبيد - العالم الزاهد الروايه الثقة - أنه قال : مادفعت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه (سيد قطب : الظلال ص ٣٣٤٠) .

تعقيب على هذه الآيات

١ - توضح هذه الآيات أدب المعاملة مع الله ورسوله .

٢ - تفيد الآيات بأن المرجع فى كل قول وفعل ومصدر للتشريع بوجه عام ، هو الله ورسوله ، ولاحظ المعنى الحسى تقدموا بين يدى الله ورسوله وانسحابه على المعنى الفكرى .

٣ - أن تقوى المؤمن مرهون بابتلاء واختبار وامتحان وهو أسلوب تربوى لبيان مدى تعمق الإيمان من عدمه .

فالنقوس التقيه هى التى تخفض جناحها عند رسول لأن فى مرضاة الرسول ، مرضاة لله .

٤ - حثت الآيات على أدب الخطاب مع رسول الله حيث إنه : الرسول الهادى ، والقدوة والمثل ، والمربى ، والمعلم الأول . وغض الصوت أو الحديث بصوت لايشوش على حديث رسول الله ، يعلمنا فى حياتنا المعاصرة أدب الحديث ، والحوار ، والتلقى ، والخطاب ، سواء مع أبوينا ، مربيا ، معلمينا لأن الصوت الجهير دليل على فساد الطباع وسوء المزاج ، وإن المؤمن لايكون بمثل هذه الرعونه ولقد نبهنا القرآن الكريم إلى مثل هذا الخلل السلوكى التربوى منذ مايقرب من خمسة عشر عاماً من الزمان من أن الصوت المناسب لايثير النفس عند متلقيه ، فضلاً عن أنه يعبر عن الوقار ، والتبجيل . والإحترام ، ولذلك كانت - وصية لقمان لابنه [واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير] فإذا كان مدار الأمر فى هذه الآيات بغض الصوت عند رسول أولى واجدر ، فهو للمسلمين عامة كما نلاحظ فى سورة لقمان عندما يعظ ابنه ، مطلبٌ ومنهجٌ .

تحرى الحقيقة فى تلقى الأخبار

" ياأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيّنَهُ فى قلوبكم وكَرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هُم الراشدون . فضلاً من الله ونعمه والله عليم حكيم " .

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق . . .) نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط . قال مجاهد وقتاده : أرسل رسول الله (ﷺ) الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك ، زاد قتادة وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث رسول الله (ﷺ) خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم وأمره أن يتثبت ولايعجل فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدا رضى الله أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذى يعجبه فرجع إلى رسول الله (ﷺ) فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله (ﷺ) يقول " التثبت من الله والعجلة من الشيطان "

(ابن كـــثير : المجـلـد الـرابع تفســير ابن كـثير دار الفكــر ص ٢١١) ،

(القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ص ٣١١) .

وفى هذه الآية دليل على قبول خبر الواحد إذا كان عَدْلاً ، لأنه إنما أمر فيـها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ، ومن ثبت فسقه بطل قوله فى الأخبار إجماعاً ، لأن الخبر أمانة والفسق قرينة يبطلها . (القرطبى : ٣١٢) .

ويبدو أن الآية تشير إلى منهج تلق الأخبار وهو تحرى الحقيقة وخاصة فمن لايشـهد له بالعدل ، لأن الخبر وإشاعته بين المسلمين يترتب عليه أضرار جسام مثلما شاهدنا فى سياق مناسبة نزول الآية وحادثة عقبة بن أى معيط ، ويبدو لى أن الأصل هو الثقة فى تلقى الخبر ، ولكن الآية حذرت من الأخبار الملوثة ، وتكمن خطورة منهج هذه الآية ، فى وقـتنا المـعـاصـر إثر ثورة المعلومات ، وتناقل الأخبار وانتشارها بسرعةالبرق ، خاصة أن العالم أصبح كالقـرية الصغـيرة ، والقـاصى يتـتبع أخبار الدانى ، وليس بغريب أن تحدث الكوارث والحروب والنكباب بين الشعوب . إثر أخبار فاسقة تصيب قـوماً بجـهالة ، ولقـد نبـهتنا الآية منذ قرون خلت الى كيـفيـة التعـامل مع الأخبار والمعلومات ؟! .

" واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون " .

ويبدو من السياق القرآنى ، أن الوشاية التى أطلقها الوليد بن عقبة - كما ذكرنا عند تفسيرنا للآية السابقة - ، قد فعلت فعلتها فى النفوس ، وكانوا يودون أن يتحرك الرسول لمثل هذا الأمر ، ولذلك جاءت الآية لتذكرنا أننا ينبغى أن لانقدم بين يديّ الله ورسوله ، وأن رسول الله (ﷺ) لو أطاع المسلمين فى مثل هذا الأمر لعنتوا وتعبوا ، ومن نعم الله عليكم أن حبب إليكم الإيمان ، وكفى بالمرء أن يكون مؤمنا ، وأن يتبوأ هذا الإيمان شغاف قلبه وأن يكره أن يعود إلى الكفر وإلى المعاص والفواحش ماظهر منها ومابطن ، وأولئك هم أصحاب الرشد وطريق الحق والنور . وكم يعيش المرء فى ظلال هذه الآية ، ويتملى فيها ، وكيف أن الخبر الكاذب يكن له من الآثار المدمرة للنفوس والأمم ولعل هذا يذكرنا أيضاً بما جاء من فرية (حديث الإفك) كما جاء فى اتهام السيدة عائشة رضى الله عنها بالفاحشة ، وجاء القرآن من فوق سبع سموات ليبرىء ساحتها ، وهاهى الكلمة الفاسقة الكاذبة يحذرنا منها القرآن ويعلمنا تحرى الحقيقة فى تلمسها .

ويذهب ابن كثير رحمه الله إلى أن المقصود من قوله تعالى " واعلموا أن فيكم رسول الله)أى اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتمه من رأيكم لأنفسكم (ابن كثير ص ٢١١) . ويعقب القرطبى أيضاً على قوله تعالى " واعلموا أن فيكم رسول الله " فلا تكذبوا ، فإن الله ويعلمه أبناءكم فتفضحون ، " لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم " أى لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لكان مشقة وإثم ، فإنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة إليه لكان خطأ ، ولَعنَتَ مَن أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم (ص٣١٤) .

" فضلاً من الله ونعمة والله عليكم حكيم " أى فى هذا العطاء وتفضل منه تعالى عليكم وإنعام ، والله عليم بمن يستحق الهداية ، حكيم فى خلقه وصنعه وتدبيره . (الصابونى : صفوة التفاسير ص ٢٣٤) .

" وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ،فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله . فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا . إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون " .

قال ابن كثير : ذكر سعيد بن حبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالعسف والنعال فأنزل الله تعالى فأمر بالصلح بينهما . وقد السدى كان رجل من الأنصار يقال له عمران انت له أمرأة تدعى أم زيد وإن المرأة ارادت أن تزور أهلهافحبسها زوجها وجعلها فى عليه له لايدخل عليها أحد من أهلها ، وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله (ﷺ) وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى .

هذا هو السياق التاريخى فى أسباب نزول هذه الآية كما ذهب الى ذلك نفُر من المفسرين إلا أن المتامل فى هذه الآية كما يقول صاحب الظلال أن هذه قاعدة تشريعية عملية لصيانة المجتمع المؤمن من الخصام ، تحت النزوات والاندفاعات تأتى تعقيباً على تبين خبر الفاسق ، وعدم العجلة والإندفاع وراء الحمية والحماقة ، قبل التثبت والاستيقان .

وسواء كان نزول هذه الآية بسبب حادث مىين كما ذكرت الرويات ، أم كان تشريعاً لتلافى مثل هذه الحالة ، فهو يمثل قاعدة عامة محكمة لصيانة الجماعة الاسلامية من التفكك والتفرقة ، ثم لإقرار الحق

والعدل والصلاح . والإرتكان فى هذا كله إلى تقوى الله ورجاء رحمته باقرار العدل والصلاح (الظلال ص ٣٣٤٣) .

" إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون " إنما على سبيل الحصر والتوكيد كما قال المفسرون ، فلا إخوة إلا بين المؤمنين فأخوة ، الإيمان أقوى من أخوة النسب والدم ومن هنا فلا يجب أن نترك الشحناء والبغضاء وعوامل الفرقة تدب فى نفوس المسلمين ، ومرد الأمر فى النهاية يعود إلى تقوى الله ، بُغية مرضاته والفوز بالجنة ، فتقوى الله حقيقة هى التى تدفع المؤمن إلى رأب الصدع بين المؤمنين المتقاتلين ، أو المختلفين ، تقوى الله حقيقة هى التى تدفع المؤمنين إلى رأب الصدع بين فئتين مسلمتين تتقاتلان ، ومحاربة التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله . تقوى الله هى التى تدفع المؤمن إلى المبادرة بالصلح بين المتشاحنين من المؤمنين ، وما أحوجنا إلى هذا النهج القرآنى لمعالجة همومنا ومشكلاتنا المعاصرة .

اجتناب الأمراض الاجتماعية

السخرية - الظن - التنابز بالألقاب - التجسس - الغيبة

" يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولاتنابزوا

بالألقاب بئس الأسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون " .

روى أن سبب نزول الآية : فى وفد بنى تميم ، استهزء وا بفقراء الصحابة ، مثل عمار وخباب وابن مهيره ، وبلال وغيرهم (الطبرى : الجامع لأحكام القرآن ص ٣٢٥ ، السيوطى : الجلالين ص ٤٣٥) .

يذكرنا القرآن الكريم ، وهو يصنع الأمة الفاضلة ، فينهانا عن سخرية الرجال من الرجال ، ولا النساء من النساء ، فلو بما كان المسخور منه أعظم عند الله درجة وفضلاً ، فلا ينبغى على العالم أن يسخر من الجاهل ولا الغنى من الفقير ولا القوى من الضعيف .

لقد جاء القرآن الكريم بأبجدية جديدة فى عالم القيم ، جاء بمعايير جديدة ، جاء ليحذرنا من الإستهزاء بالآخرين وإحتقارهم !!

لذلك جاءت الآية لتقول ولاتلمزوا أنفسهم وكما قال المفسرون اللمز هنا بمعنى العيب ، ولاحظ مايشى اللفظ من أضواء وظلال وكأن العيب فى الآخرين أشبه بوخز حسى فى نفسنا ، كما أن الآية تنهانا عن التنابز بالألقاب التى يكرها الإنسان ، وأن مثل هذا المسلك يمكن القول عنه " بئس الأسم الفسوق بعد الإيمان " ومن لم يتب عن مثل هذا المسلك فلقد ظلم نفسه بتحمله شناعة الإثم .

وعلى هذا الضوء من الخلق الفضيل ربى رسول الله (ﷺ) الجماعة المسلمة فى الصدر الأول فكان يتخير الأسماء الحسنة وكان ينهى عن الألقاب البذءة ، ومن لم يرجع عن مثل هذا السلوك المشين ، ومن لم يتب عن التنابز بالألقاب التى يكرهها الآخرين فأولئك هم الظالمون .

" يأيها الذين آمنوا إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسسوا ولايغيب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحكم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم "

والمراد أى ابتعدوا عن التهمة والتخون واساءة الظن بالأهل والناس ، وعبر بالكثير ليحتاط الإنسان فى كل ظن ولايسارع فيه بل يتأمل ويتحقق (الصابونى : مختصر أبن ابن كثير ص ٢٣٥) ويذهب ابن ابن كثير إلى أن الله ينهى عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً فليتجنب كثير منه احتياطاً ، وروينا عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه قال : ولاتظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأن تجد لها فى الخير محملاً (تفسير ابن كثير ص ٢١٢) . ونود أن نشير إلى أن الظن فى الشريعة نوعان . محمود ومذموم ، فالمحمود ماسلم معه دين الظان والمظنون

به عند بلوغه والمذموم ضده ،بدلالة قوله تعالى : " إن بعض الظن إثم " ، وقوله : " لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً " (الطبرى ص ٣٣٢) .

" ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا "

والتجسس قد يكون هو الحركة التالية للظن ، وقد يكون حركة ابتدائية لكشف العورات والإطلاع على السوءات . والقرآن يقاوم هذا العمل الدنئ من الناحية الأخلاقية ، لتطهير القلب من مثل هذا الأتجاه اللئيم لتتبع عورات الآخرين وكشف سوآتهم وتمشياً مع أهدافه فى نظافة الأخلاق والقلوب . ولكن الأمر أبعد من هذا أثراً ، فهو مبدأ من مبادئ الأسلام الرئيسية فى نظامه الاجتماعى ، وفى إجراءاته التشريعية والتنفيذية . ففى المجتمع الإسلامى الرفيع يعيش الناس آمنين على أنفسهم ، آمنين على بيوتهم ، آمنين على أسرارهم ، آمنين على عوراتهم . (سيد قطب : فى ظلال القرآن ص ٣٣٤٦) .
وعن مجاهد : لاتجسسوا ، خذوا بما ظهر لكم ، ودعوا ماستر الله . وقال سفيان الثورى ، عن راشد بن سعد ، عن معاوية بن أبى سفيان قال : سمعت النبى (ﷺ) يقول : " إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم " .

كما تنهانا الآية الكريمة عن الغيبة ، إذ هى مرض إجتماعى يصيب النفوس المريضة ، فى أنها تنال من الآخرين ، ولاحظ التصوير القرآنى العميق لهذه الحالة المزرية من السلوك الأنساني ، بأن الذي يتجسس ويغتاب ويسئ الظن مثل من يأكل لحكم أخيه ميتا ؟! وإذا كان لحم الميت شئ تنفر منه الطباع السليمة فكيف بأكل لحم الأخ لنا ؟

وفى حديث رواه أبو داود : حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قيل : يارسول الله ، مالغيبة ؟ قال (ﷺ) : " ذكرك أخاك بما يكره " قيل : " أفرأيت إن كان فى أخى ماأقول ؟ قال(ﷺ) : " إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته " رواه الترمذى وصححه .

وانتهت الآية الكريمة باستجاشة المشاعر الإنسانية نحو تقوى الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، وإن الله تواب رحيم ، تواب على من تاب اليه ، ورحم لمن رجع إليه واعتمد عليه .

وهكذا استطاعت هذه الآية القرآنية أن تصور الأمراض الإجتماعية تصويراً دقيقاً ، وحددتها فى :-

١ - سوء الظن .   ٢ - التجسس .   ٣ - الغيبة .

ولايشك شاك ، أن هذه الأمراض الإجتماعية من الأمراض التى تنخر فى كيان الأمة ، وأن سوء الظن مبعث الكثير من المشكلات دون أساس أو مبدأ ، كما أن التجسس من العلل الكبيرة التي أراد رب العزة أن يطهر المجتمع المسلم من دنسها ، كذلك الغيبة . ولذلك يحذرنا رب العزة من مثل هذه الأمراض الاجتماعية بالانابة إليه والتوبة من هذه القبائح والرذائل الاجتماعية ، لأن الله تواب رحيم بعباده إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عن مثل هذه الذنوب .

ياأيها النَّاس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " .

روى فى مناسبة نزول هذه الآية قال ابن عباس : لما كان يوم فتح مكة أمر النبى (ﷺ) بلال حتى علا على ظهر الكعبة فأذن ، فقال عتاب بن اسيد بن أبى العيص : الحمد لله الذى قبض أبى حتى لايرى هذا اليوم . قال الحارث بن هشام : ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا . قال سهيل بن عمرو : إن يرد الله شيئاً يغيره . وقال أبو سفيان إنى لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء ، فإتى جبريل النبى (ﷺ) وأخبره بماقالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . زجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال ، والإزدراء بالفقراء ، فإن المدار على التقوى . أى

الجميع من آدم وحواء ، إنما الفضل بالتقوى . (الطبري ص ٣٤١) .

هذا النداء والخطاب العام إلى الناس جميعاً ، أن أصل البشرية واحد من آدم وحواء ، وبالتالى فليس ثمة داع للتفاخر بالأنساب ، أو التناحر والصراع ، لأن البشرية من أصل واحد ، والهدف والغاية التعارف والتعاون والوئام والانسجام .

لقد جاء الإسلام لإقامة المجتمع الإنسانى الكبير على أساس مكين من الود والرحمة والألفة وها هى الدعوة فى سورة الحجرات إلى أن الهدف الكبير هو تعاون الإنسانية مع بعضها فلا فرق بين جنس وجنس أو لغة ولغة فالكل سواسية أمام رب العالمين .

لذلك لم يفرق الإسلام بين الأسود ولا الأبيض ، ولابين جنس وجنس مثلما يفرق الغرب الآن بين جنس وجنس كالآرى والسامى والآرى هو الأفضل ، وبين لون ولون ولون والأبيض هو الأفضل ، إنما الكل واحد فى ميزان الله ، وأن معيار التفاضل بين الناس هو التقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

لقد أتى الإسلام بقيم انسانية رفيعة وأعلى من إنسانية الانسان ، وأضحى الإنسان يعلُم أن قيمته ومكانته ، فى مرضاة الله رب العالمين . عن أبى نضرة قال : حدثنى أو حدثنا من شهد خطب رسول الله

(ﷺ) بمنّى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال : " يأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لافضْل لعربى على عجمىّ ولا عجمى على عربى ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلّغت - قالوا نعم قال - ليبلغ الشاهد الغائب .

قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم " .

قال المفسرون : نزلت فى أعراب من بنى اسد بن خُزيمة قدموا على رسول الله (ﷺ) فى سنة جَدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السرّ . وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وكانوا يقولون لرسول الله (ﷺ) . أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة ، وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . (القرطبى ص ٣٤٨) .

ويذهب ابن كثير رحمة الله ، أن هؤلاء الأعراب المذكورين فى هذه الآية ، ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان فى قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاماً أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا فى ذلك . (ص ٢٢٠) . ولو

كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون فى سورة براءة .

ثم تذكر الآية الكريمة بأن طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ، هما الطريق الصحيح للعمل الصالح غير المنقوص ، والإيمان العميق الذى يتشرب فى أعماق النفس ، بل الإسلام لمجرد الأنقياد الظاهرى والإستلام ومن هنا فرق العلماء بين الإيمان والإسلام ، وأن الإيمان درجة أعلى من الإسلام ، من يعمل العمل الصالح وقلبه مطمئن فإن الله غفور رحيم .

" إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون . قل اتعاملون الله بدينكم والله يعلمافى السموات ومافى الأرض والله بكل شئ عليم " .

أى إنما المؤمنون الصادقون فى دعوى الإيمان ، الذين صدّقوا بالله ورسوله ، ثم لم يتشككوا بعد أن أمتلئت قلوبهم بالإيمان واليقين .

والآية توضح أن الإيمان الحقيقى ، هو الإيمان الذى لايساوره أدنى شك أو ريبه ، وليس الإيمان مجرد تصديق بالقلب وحسب ، وإنما الإيمان له تبعه كبرى متى استقر فى القلب واستيقنته النفس ، واطمأن به الضمير ، إنه

الجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله ، تلك هى أمارات الإيمان الصادق ، ثلاثة أوصاف : التصديق الجازم بالله ورسوله والثانى عدم الشك والأرتياب والثالث : الجهاد بالمال والنفس ، فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق .

" قل اتعلمون الله بدينكم والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شئ عليم "

" قل اتعلمون الله بدينكم) الإستفهام للإنكار والتوبيخ : أى قل لهم يامحمد : أتخبرون الله بمافى ضمائركم وقلوبكم ؟ " والله يعلم مافى السموات ومافى الأرض والله بكل شئ عليم " أى أن الله يعلم بعلمه الشامل الكامل المحيط كل ما فى الكون ، وكل ما فى السموات والأرض ، ولايخفى عليه مثال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولاأكبر ، وهو عالم بكل شئ فى هذا الوجود ، عالمُ بالنوايا وخفقات القلوب ؟!

" يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنوا علىَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . إن الله يَعلمُ غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون " .

ويبـدو أن هذه الآية تشيـر إلى الرد البليغ على هؤلاء الأعـراب الذين طلبوا الصدقة من رسول الله وادعوا الإيمان بقولهم أننا لم نقاتلك ، وسرنا فى دعوتك ، بل جاء القرآن الكريم ليذكرهم أن دخولهم فى الإسلام وإيمـانهم بالله ، هو محض هبة وفضل من الله ونعمه ، فلو كنتم صادقين حقاً فى إيمانكم ، فكان الأجـدر بكم أن تتـوجهـوا بالشكر والابتـهـال إلى الله على هذه النعـمة السابغة .

فـالإيـمـان الصـادق ، هو منه عليكم ونفع لكم ، وليس المسـتفـيد كـما تعـتـقـدون من ذلك - هو رسـول الله ، بل الله صـاحب الفـضل والمنه أن هداكم للإيمان - كما قال الرسول (ﷺ) للأنصار يوم حنين " يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بى ؟ وكنتم عالة فأغناكم بى ؟

" إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بماتعملون "

وتنتـهى سـورة الحجرات برد الأمر فى النهـاية ، إلى اللهُ ، وأن الله يعلم غيـب المسوات ، والأرض ، وكـما بدأت السـورة بالاذعـان والانقيـاد لله ورسـوله

، انتهت بتعميق الإيمان لأن الله علاّم الغيوب ، ولاتخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السموات ، والله عالم ، بصير بمانعمل ، عالم بالسر والنجوى ، وهى سورة يتسق بدايتها مع نهايتها ، وهى سورة ترسم ملامح المجتمع الاسلامى النظيف ، الذى يحافظ على سلامة كيانه ، بترك الموبقات ، والتمسك بالإيمان الصحيح ، كما تفيدنافى عدم التسرع فى إصدار الأحكام . . . على الآخرين دون حقيقة أو بينة وعدم التباهى والخيلاء بالتسمك بالإيمان ، لأن ربما يورد الإنسان مورد التهلكة " يمنون عليك أن أسلموا " ورغم أن الآية نزلت فى سياق معين ، إلا أن منهجها الفريد يفيدنا فى حياتنا بعدم المنٌ بعلمنا وقدراتنا العقلية التى حبانا الله إياها فى الحياة ، وتعلمنا فضيلة الشكر لله عند كل نعمة وفضلْ ، وما أجدرنا وأحوجنا فى ديننا المعاصرة أن نلتمس ظلال هذه السورة فى سلوكياتنا اليومية والتربوية ، كما أن السورة خصصت النداء إلى المؤمنين خمس مرات ، وفى كل مرة تؤكد على مكرمة أو فضيلة من الفضائل ، وخصت الحديث للمؤمنين دون غيرهم ، وهذا تعظيم لشأنهم ورفعة لمكانتهم .

مصادر الشريعة الإسلامية

- معنى الشـــــريعة : -

نود أن نشير فى البداية إلى معنى الشريعة .

ورد معنى الشريعة فى اللغة : شرع لكم من الدين ، بيَّن ووضح شرع :"شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا اليك "(١٣ الشورى) .

شـــرعوا : " أم لهم شـــركاء شـــرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله " (٢١ الشورى) .

شرعَه : طريقة . " لكل جلعنا منكم شرعة ومنهاجا " (٤٨ المائدة) .

شـــريعة : طريقـة " ثم جعلناك على شـــريعة من الأمـر فاتبعْهـــا " (١٨ الجاثية) [١]

وفى العصر الحديث شاع استخدام ، لفظ لشريعة ، والشريعة بمعناها الواسع تشتمل على كل مايتعلق بالعقيدة ، والأخلاق ،والمعاملات وغيرها ، كما بينا فى عرضنا للإسلام كمنهج للشمول والتوازن .

فـالتـشـريع : مـصـدر شـرع لكم كـذا أى سنه ، غـاية مـافى الأمـر أن هذا

---

(١) انظر : معجم القرآن الكريم جزء أول الناشر مجمع اللغة العربية ١٩٨٩ ص ٦٢٤ .

اللفظ يدل على التكثير .

واعداء الإسلام يحاولون ، أن ينزعوا الشريعة من معناها الكلى ، ويجعلوها فى محيط ضيق ، أو فى حدود الحدود كحد الرجم والسرقة وغيرها ، ولكن ومن المؤكد والمقطوع به والمعلوم من الدين بالضرورة أن القرآن يشتمل على أحكام تشريعيه فى عدة مجالات .

منها : مايتعلق بأمور العبادات .

ومنها : مايتعلق بشئون الأسرة.

ومنها : مايتعلق بالمعاملات المدنية والتجارية .

ومنها مايتعلق بالجرائم والعقوبات من الحدود والقصاص .

ومنها : مايتعلق بالأمور السياسية والعلاقات الدولية .

وعادة يعرف الآيات التى تتناول هذه الموضوعات باسم " آيات الأحكام " مثل " أحكام القرآن للشافعى وغيره من المؤلفات " [١]

(١) انظر على سبيل المثال : أحكام القرآن " الإكليل واستنباط التزيل " للحافظ السيوطى ت ٩١١ هـ) . . . . إلخ.

مصادر الشريعة

١ - القرآن الكريم : -

المصدر الأول للتشريع الإسلامى ، فهو كتاب الله ، الذى تكفل بحفظه ورعايته " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " لقد نزل القرآن منجما لحكمة إلهية ، ومهمة تربوية ، فالقرآن الكريم ليس كتابا فى الفلسفة ، مجرد نظريات جافة باردة ، وإنما القرآن الكريم مادة حية ، تستثير الذهن والروح والوجدان والخيال ، فهو معجزة إليهة على مر العصور .

ولقد أفاض العلماء في شرح بعض أوجه الإعجاز ، وأسراره ، البليغة .[١]

نستطيع القول أن القرآن الكريم ، جاء بالتحدى ، وقد بلغ ذروة التحدى فى سورة البقرة (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة منمثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين " (سورة البقر الآية ٢٣ ، ٢٤) .

---

(١) انظر هذا الصدد : التصوير الفنى للقرآن لسيد قطب ، النبأ العظيم ، مدخل إلى القرآن الكريم لمحمد عبد الله دراز وغيرهم من المؤلفات .

ولقد نزل القرآن الكريم منجما ، ولم ينزل دفعة واحدة مثلما نزلت سائر الكتب السماوية ، كالألواح العشر على موسى عليه السلام ، والزبور على داود ، بل نزل مفرقاً لحكمة واسرار نذكر منها : -

١ - تثبت فؤاد النبى (ﷺ) باتصال السماء بالأرض أى اتصال الوحى بشخص الرسول (ﷺ) .

٢ - نزول القرآن مفرقاً منهج تربوى ، فى التعليم والتدرج من الأبسط إلى الأعقد نستفيد منه فى حياتنا .

٣ - القرآن نزل مجماً لمواجهة المشكلات الواقعية لهدف تشريعى ، وتربوى مثلما نجد فى حادثة زواج الرسول بالسيدة زينب بنت جحش ، وكان الهدف تحريم التبنى فى الإسلام ، ومثل حادث الأفك واتهام السيدة عائشة بالفاحشة جاءت سورة النوا ، وتبرئ ساحتها ، منفوق سبع سموات ، لهذا نزل القرآن منجماً كمنهج تربوى للمسلمين ، ولو كان هبط جملة لما كان مثل هذا الأعجاز والخلود .

إذن القرآن هو المصدر الأول التشريعى الذى إستى منه المسلمون التشريع.

٢ - السنة النبوية : -

هى المصدر الثانى ، بعد القرآن الكريم ، فالسنة هى التطبيق العملى والتفصيلى للقرآن ، والسنة : ماروى عن النبى (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير .

لقد كانت السنة ، هى المطبقة لأحكام القرآن ، بل المفصلة والموضحة أيضاً ، فالقرآن والسنة يكمل بعضهما الآخر ، " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (النحل ٤٤) .

لقد أمر القرآن بالصلاة ، ولكن لم يبين عددها ، ولامواقيتها ، ولاكيفيتها ، ولا أنواعها ، من فرض ونفل ، ولكن السنة هى التى تولت تفصيل ذلك . وأمر القرآن بالزكاة ، ولكن لم يبين كل أنواع المال الذى تجب فيه الزكاة ولا النصاب اللازم لوجوب الزكاة ، ولامقدار الواجب ، ولازمن الوجوب ، ولكن السنة هى التى حددت ذلك كله . وكذلك الصوم والحج والعمرة كلها فصلتها السنة .

حجية السنة من القرآن .

قلنا إن السنة هى المصدر الثانى للتشريع ، ودليل ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية .

لقد تضافرت النصوص القرآنية نحو التوجيه بأن طاعة الرسول من طاعة الله ، وطاعة الرسول القولية والفعلية والتقريرية هو سنته (ﷺ) .

١ - " من يطع الرسول فقد أطاع الله . . . " (سورة النساء آية ٨٠) .

٢ - " فلا وربِّك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما " (سورة النساء اية ٦٥) .

٣ - " وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً .

(سورة الأحزاب آية ٣٦) .

" ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله "

(سورة الحجرات آية ١) .

" وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا "

(سورة الحشر آية ٧) .

من هذه الآيات ، وغيرها ، نرى أنها تؤكد على حجية السنة ، وأن السنة والقرآن لاأنفصال بينهما ، بل هما وجهان لعملة واحدة فالرسول مبلغ ربه وموضح ومطبق منهجه .

حجية السنة من السنة

كذلك ، أشارات الأحاديث النبوية إلى حجية السنة النبوية ووجود الألتزام بها واتباعها نذكر منها مايأتى : -

عن العرياض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله (ﷺ) ذات يوم ثم أقبل بوجهه يوعظنا موعظة بليغة ذزفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يارسول اله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : " أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وأن كان عبداً حبشياً فانه من بعث منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) أخرجه أبو داود والترمذى .

إذن السنة ، مكملة للقرآن ، ولا استغناء عنهما كمصدر للشريعة ، وهذا مااحتج به الصحابة والتابعون من بعدهم :

٣ - الإجماع : -

الإجماع يطلق فى اللغة بمعنى العزم ومنه قوله تعالى : " فأجمعوا أمركم " (يونس آية ٧١) وبمعنى الإتفاق .

ويطلق الأصطلاح على : إتفاق المجتهدين من أمة محمد (ﷺ) في عصر بعد وفاته على أمر شرعي .

ولقد أخذ العلماء بحجية الإجماع ، واعتبروها من مصادر الشريعة .

٤ - القياس : -

المصدر الرابع ، من مصادر الشريعة الإسلامية ، فالقياس يعد دليلاً أكيداً على تطور الشريعة الإسلامية ، ومرونتها وخلودها ، فعندما ينظر المجتهد في كتاب الله وفي سنة رسوله ولايجد نصاً ، يؤكد رأيه ، فإنه لابد أن يقيس الأمور بأمثالها ، وهذا يدل على أن الفقه الإسلامي ، فقه متجدد عبر القرون والأزمات ولعل هذا ، من عمق وعظمة الشريعة الإسلامية الغراء في مواكبة مستجدات العصر ومشكلاته ، وإعمال العقل والفكر في ضوء النصوص الشرعية ، وهو أبلغ دليل على اليسر والسهولة والمرونة في معالجة القضايا والموضوعات .

كالذي فعله الفاروق عمر حين أخبره بعض ولاته أن بعض الناس يقتني من الخيل مايبلغ ثمن الفرس منها قيمة عشرات الإبل ومئات الأغنام ، فقال : أنا خذ الزكاة من أربعين شاة ، ولاناأخذ من الخيل شيئاً ؟! وأمر بأخذ الزكاة من باب قياس الأولى وهو ماأخذ به الإمام أو حنيفة .

ومن ذلك : قياس المحصنين من الرجال على المحصنات من النساء فى حد القذف المذكور فى قوله تعالى : " والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة . . . " (النور آية ٤) .

ودليل حجية القياس ، روى عن معاذ بن جبل حين بعثه رسول الله الى اليمن ، وقال له : كيف تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال أقضى بكتاب الله ، قال : " فإن لم تجد فى كتاب الله " ؟ قال : فبسنة رسول الله (ﷺ) . قال : " فإن لم تجد فى سنة رسول الله (ﷺ) ولافى كتاب الله ؟ قال : اجتهد رأيى ولا آلو فضرب رسول الله (ﷺ) - صدره وقال : " الحمد لله الذى وفق رسول الله لمايرضى رسول الله " .

وفى هذا الصدد يذهب الاستاذ / عبد الوهاب خلاف إلى : أن الإجتهاد العام يشمل بذل الجهد للتوصل إلى الحكم بتطبيق قواعد الشرع الكلية . ويشمل بذل جهد للتوصل إلى حكم فيما نص فيه بالقياس أو الاستحسان أو الاستصلاح أو غير هذا من الوسائل التى أرشد الشرع اليها للاستنباط فيها لانص فيه .[1]

---

(١) عبد الوهاب خلاف : مصادر التشريع الإسلامى ص ٨٠٢ .

خصائص الشريعة الإسلامية

١ - الربانية : -

لعل من أول خصائص الشريعة الإسلامية ، صفة الربانية فمصدرها ، رباني ، بخلاف الشرائع الوضعية الأخرى ، فهي غالباً ماترتبط بمصالح موقوته ، ولاتصلح لكل زمان ومكان، بخلاف الشريعة الإسلامية التي هي مصدرها ، وينبوعها ، الله سبحانه وتعالى .

إن التصور الإسلامى هو التصور الاعتقادى الوحيد الباقى بأصله " الربانى " وحقيقته " الربانية " ، فالتصورات الإعتقادية السماوية ، التى جاءت بها الديانات قبله ، قد دخلها التحريف - فى صورة من الصور ، وقد أضيفت إلى أصول الكتب المنزلة ، شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ، ومعلومات بشرية ، أدمجت فى صلبها ، فبدلت طبيعتها "الربانية " وبقى الإسلام -وحده - محفوظ الأصول ، لم يشب نبعه الأصيل كدر ، ولم يلبس منه الحق بالباطل وصدق وعد الله فى شأنه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " وهذه الحقيقة هى التى تجعل لهذا التصور قيمته الفريدة . [1] وينص المصدر الإلهى الذى

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ومقوماته - الناشر دار الشروق طبعة خامسة ١٩٨٠ ص ٤٣ - ٤٤ .

جاءنا بهذا التصور وهو القرآن الكريم على أنه كله من عند الله : كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وإنك لتهدى إلى سراط مستقيم صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور " (الشورى الآيتين ٥٢ ، ٥٣) .

٢ - الواقعية : -

من خصائص هذه الشريعة الإسلامية الغراء ، فالإسلام جاء ليخاطب النفس البشرية ، بكل واقعيتها ، وليس الإسلام مدينة فاضلة مثل مدينه أفلاطون" تتسم بالخيال " والفارابى (تأثر بمن سبقه) إنما جاء الإسلام ليعالج مشكلات واقعية فى دنيا البشر.

ومن واقعية هذا الدين ، رغم أنه يعظ بالأساليب الأخلاقية والمفاهيم التربوية ، إلا أنه يقر بمعاقبة المعتدى بمثل عقوبته دون زيادة ، فقرر بذلك مرتبة العدل ، ولكنه فتح الباب لمن يريد الترقى إلى مرتبة الفضل والإحسان ، فقال : " وجزاء سيئة بسيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله " (الشورى آية ٤) ، " وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خيرُ للصابرين " (النحل آية ١٢٦) .

ولقد جاءت الشريعة بوضع الضوابط وفرض العقوبات لصلاحية وتأمين المجتمع المسلم .

فالإسلام يضع الأطر والضوابط الأخلاقية ، وفى نفس الآن يضع العقوبات ، لسلامة بناء هذا المجتمع ، والدليل على ذلك العقوبات المفروضة كالحدود التي عرضت لها سورة النور وغيرها .

ولقد شرع الإسلام الطلاق رغم أنه أبغض الحلال عند الله ، لأنه لو أستحالت العشرة بين الزوجين فلا مفر من الطلاق " وإن يتفرقا يغنى الله كلا من سعته " (النساء آية ١٣) .

٣ - الأصالة والتجديد : -

يزعم الواهمون ، أن الشريعة الإسلامية ، لاتقدم الحلول لكل المشاكل فى كل زمان ومكان ، ولعل هذا يعود إلى عدم الفهم العميق لهذا الدين .

فكماقلنا فى النقطة السابقة ، أن الإسلام لم يكن مجرد كتاب نظرى ، إنما هو مادة حية تخاطب مشكلات واقعية ولذلك جاء الإسلام لكى يجمع بين الأصالة والتجديد .

فالإسلام يتميز بالأصالة فى الأصول والأهداف والتصور فى الفروع والوسائل .

وباب التجديد فى الإسلام يتمثل فى الإجتهاد فى فهم نصوص القرآن واستنباط الأحكام منها وتفاوت درجات هذه النصوص فى ثبوتها ودلالتها حيث القطعية والظنية .

وباب القياس ، باب واسع فى الفقه الإسلامى ، وهو ماميز الشريعة المرونة والتجديد وليس الإسلام دينا جامداً كما يزعم المستشرقون ومن يسيرون فى ركبهم .

ونود أن نشير إلى أن هناك منطقة محرمة لايدخلها الاجتهاد وهى منطقة "القطعيات " التى جاءت بها النصوص المحكمة وأجمعت عليها الأمة جيلاً بعد جيل كفرضية الصلاة والزكاة والحج وتحريم الزنا وصوم رمضان والميراث . . . إلخ .

وفى باب الإجتهاد والقياس والتجديد ، صنع ماصنع الخليفة " الفاروق عمر " حين أخبره بعض ولاته أن بعض الناس يقتنى من الخيل مايبلغ ثمن الفرس منها قيمة عشرات الأبل ، ومئات الأغنام ، فقال : أناخذ الزكاة من أربعين شاة ، ولا نأخذ من الخيل شيئاً ؟! وأمر بأخذ الزكاة من باب قياس الأولى .

٤ - سعة الشريعة ومرونتها فى باب السياسة الشرعية : -

من الأدلة على أصالة الشريعة الإسلامية ، وتطورها وتجددها وباب السياسة الشرعية ، أى قيام الحاكم بسياسة الأمة بأحكام الشرع .

ولهذا نجد أن الشريعة الغراء قد وضعت المبدأ الخالد لمعاملة الحكام مع المحكومين ثم تركت لعلماء الأمة باب الإجتهاد فى هذا الأمر إنطلاقاً من قوله تعالى " وأمرهم شورى بينهم " " لست عليهم بمسيطر " فالمبدأ الذى تنطلق منه الأمة هو " الشورى " أما تطبيق هذ المبدأ شكله ، وصورته فهو أمر موكول للمسلمين ومايصلح لزمان ربما لايصلح لزمان آخر هل البيعة عن طريق أهل الحل والعقد أم عن طريق مجلس شورى يختار الحاكم . . . الخ ، هذه الأشكال ، وهذا أمر متروك لأمة ولأهل العلم فى اختيار الشكل المناسب وتقدير الأمور بقدرها ، وهذا يدل على المرونة والسعة والتجديد فى السياسة الشرعية " وهو مبدأ الشورى " وتركت لنا الشريعة الغراء الإجتهاد فى طريقه تطبيق هذا المبدأ .

ولقد فهم المسلمون الأول هذه الحقيقة ، منهم هو سعد بن معاذ يمزق ورقة المعاهدة التى عقدها الرسول مع أهل الطائف فى غزوة الأحزاب بعد مفاوضات طويلة بينهم ، وذلك أن الحصار اشتد على المسلمين وزلزلوا زلزالا

شديداً فرأى عليه الصلاة والسلام أن يصنع شيئاً يخفف به متاعبهم ، يفرق جمع الأعداء ،ودخل فى مفاوضات مع أهل الطائف ، واتفقوا على أن يرجع الطائفون ولهم ثلث ثمار المدينة ، فسأل سعد رسول الله (ﷺ) فى ذلك ، وهل للوحى دخل فيه ؟ فقال له عليه السلام : " إنما هو أمر صنعته لكم ، رجوت من ورائه الخير " فأخذ سعد المعاهدة ومزقها وقد كانت معدة للتوقيع قائلاً أفبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عن عنوة ؟ لا والله .

٥ - التدرج فى التشريع : -

من خصائي الشريعة الإسلامية ، التدرج فى التشريع ، ولذلك كانت دعوة الرسول فى البداية نحو تعميق العقيدة فى النفوس فى المجتمع المكى - كما قلنا أثناء عرضنا لمنهج الشمول - حوالى ثلاثة عشر عاماً ، ولهذا لم تكن المرحلة الملكية مرحلة تشريع ، وتقنين ، بل مرحلة تربية وتكوين ، وكان القرآن فيها يعنى قبل كل شئ بتصحيح العقيدة وتثبيتها ومن ظلالها فى النفس والحياة أخلاقاً وأعمالاً صالحة ، قبل أن يعنى بالتشريعات والتفصيلات .

وجاءت الشريعة بالتدرج مراعية النفس البشرية ، وهو أسلوب تربوى لتلقى هذا المنهج الكامل الشامل .

وهناك أمثلة كثيرة على مراعاة سنة التدرج والمثال المشـهور والمعروف " الخمر " فلقد جاء الرسلام لينفر منه ثم جاءت الآيات بعد ذلك لتحريمه وكذا الربا ، والرق الذى أبقى عليه الإسلام فترة منالزمن لكى لايؤدى الغاؤه إلى زلزلة فى الحياة الإجتماعية والإقتصادية فالغى ذلك على فترة من الزمن .

ولعل هذا المسلك من الخصائص الأصيلة فى الشريعة الرسلامية وكما طبقها الرسول (ﷺ) ، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده .

ومن المواقف التى لها مغزى مارواه المؤرخون عن عمر ب عبد العزيز الذى يعده علماء المسلمين " خامس الراشدين " وثانى العمرين ، لأنه سار على نهج جده الفاروق عمر بن الخطاب : أن ابنه عبد الملك - وكان شاباً تقياً متحمساً - قال له يوماً : ياأبت ، مالك لاتنفذ الأمور ، فوالله ماأبالى لوأن القدور غلت بى وبك فى الحق .

يريد الشاب التقى الغيور من أبيه - وقد ولاه الله إمارة المؤمنين أن يقضى على الظالم وآثار الفساد والإنحراف دفعة واحدة دون تريث ولا أناة وليكن بعد ذلك مايكون .

ولكن الأب الراشد قال لابنه : لاتعجل يابنى .، فإن الله زم الخمر فى القرآن مرتين ، وحرمها فى الثالثة ، وإن أخاف أن أحمل الحق على الناس جمله

فيَدعوه جملة ، ويكون من ذا فتنة . [1]

يريد الخليفة الراشد أن يعالج الأمور بحكمة وتدرج متدياً بسنة الله تعالى فى تحريم الخمر ، فهو يجرعهم الحق جرعة جرعة ، ويمضى بهم إلى المنهج المنشود خطوة خطوة . . . هذا هو الفقه الصحيح .

---

(١) انظر الموافقات للشاطبى ص ٩٤ .

مقدمة فى علوم القرآن : -

نود أن نشير فى البداية أن المقصود من علوم القرآن : أى العلم الذى يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن من حيث معرفة أسباب النزول ، وجمع القرآن وترتيبه ، ومعرفة المكى والمدنى ، والناسخ والمنسوخ ، والمحُكم والمتشابه ، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن .

وقد يسمى هذا العلم بأصول التفسير ، لأنه يتناول المباحث التي لابد للمفسر من معرفتها للأستناد إليها فى تفسير القرآن .

القـــــرآن : -

من فضل الله على البشرية ، أن يرسل اليهم الرسل مبشرين ومنذرين فى كل وقت ، وكل آن ، : رسلا مبشرين ومنذرين لئ لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " .

وظلت الإنسانية فى تطورها الروحى والعقلى ، والوحى يعاددها بين الحين ، والآخر ، إلى أن شاءت إليه سبحانه وتعالى ، أن يبعث لها الرسول الخاتم والشريعة الكاملة " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " أى للأنسانية

جمعاء فى مختلف الأقطار والأمصار .

وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل ، فمن أوصاف جبريل الذى نزل به " نزل به الروح الأمين " (الشعراء آية ١٩٣) ، وأوصافة وأوصاف المنزل عليه : " إنه لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع ثم آمين ، وماصاحبكم بمجنون . ولقد رآه بالأفق المبين ، وما هو على الغيب بضنين " (سورة التكوير الآية من ١٩ ، ٢٤) .

فالله سبحانه وتعالى هو الذى تكفل بحفظه " إن نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " .

والقرآن كمنهج يعالج المشكلات الإنسانية فى شتى مرافق الحياة الروحية والعقلية والبدنية والاجتماعية والإقتصادية والسياسية علاجاً حكيماً ، لأنه تنزيل الحكيم الحميد ، ويضع الكل مشكلة بلسمها الشافى فى أسس عامة تترسم الإنسانية خطاها ، تبنى عليها فى كل عصر مايلائمها ، فاكتسب بذلك صلاحية لكل زمان ومكان فهو دين الخلود .

تعـــريف القـــرآن : -

" قرأ " تأتى بمعنى الجمع والضم والقراءة : ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل ، والقرآن فى الأصل كالقراءة : مصدر قرأ قراءة

وقرآنا قال تعالى : " إن علينا جمعة وقرآنه ، فإذا قرآناه فاتبع قرآنه أى قراءته فهو مصدر على وزن فعلان بالضم .

كالغفران والشكران .

ويذكر العلماء تعريفاً له يُقِّرب معناه ويميزه عن غيره ، فيعرفونه بأنه : " كلام الله ، المنزل على محمد (ﷺ) ، المتعبد تبلاوته "فـ " الكلام " جنس فى التعريف يشمل كل كلام وإضافته إلى الله يخُرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة .

وتقييد المنزّل ، بكونه على محمد يخرج ماأنزِل أو نزل على الأنبياء قبله كالتوراه والإنجيل وغيرهما .

الــوحــى : -

الوحى : الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض ، وقد يكون مجرد ، وبإشارة بعض الجوارح .

والوحى مصدر ، ومادة الكلمة تدل على معنين أصليين هما : الخفاء والسرعة .

كيفية وحى الله إلى ملائكته

جاء فى القرآن الكريمماينص على كلام الله إلى ملائكته " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها " (البقرة آية ٣٠) .

وعلى إيحائه اليهم " إذ يوحى ربُك إلى الملائكة أى معكم فثبتوا الذين آمنوا " (الأنفال ١٢) وعلى قيامهم بتدبير الكون حسب أمره " فالمقسمات أمرا " (الذاريات آية ٤) " فالمدبرات أمرا " (النازعات آية ٥) .

وهذه النصوص متآزة تدل على أن الله يُكَلِّم الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه .

وثبت أن القرآن الكريم كتُب فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى " بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ " (البروج آية ٢١ ، ٢٢) .

كما بثت إنزاله جملة إلى بيت العزة من السماء الدنيا فى ليلة القدر من شهر رمضان " إنا أنزلناه فى ليلة القدر " (سورة القدر آية ١) ، " إنا أنزلناه فى ليلة مباركة " (الدخان آية ٣، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وجاء فى السنة مايوضح هذا النزول - ففى رواية " فصلَ القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى (ﷺ) ولذلك ذهب العلماء فى كيفية وحى الله إلى جبريل بالقرآن إلى المذاهب الآتية : -

أ - أن جبريل تلقفه سماعاً من الله بلفظه المخصوص .

ب - أن جبريل حفظه من اللوح المحفوظ .

جـ - أن جبريل القى إليه المعنى - والألفاظ لجبريل أو محمد (ﷺ)

والرأى الأول هو الصواب ، وهو ماعليه أهل السنة والجماعة .

فالقرآن الكرين كلام الله بألفاظه لاكلام جبريل أو محمد .

أما الرأى الثانى فلا إعتبار له ، إذ أن ثبوت القرآن فى اللوح المحفوظ كثبوت سائر المغيبات التى لايخرج القرآن عن أن يكون من جملتها .

والرأى الثالث أنسب بالنسة لأنها وحى من الله أوحى إلى جبريل ثم محمد (ﷺ) بالمعنى ، فعبر عنه رسول الله بعبادته " وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحي " ويجاب على مَن قال : إنه كلام جبريل بأن هذا قول فاسد من عدة وجوه أحدهما : أن المسلمين أجمعين إذا تلو آية قالوا : قال الله تعالى ، ولو كان هذا قول جبريل لقالوا : قال جبريل .

أن الله تعالى قال : " قُلْ نَزَّلَهُ روح القُدس من ربِّكَ بالحق " (النحل آية ١٠٢) .

ومن خصائي القرآن : -

١ - أنه معجزة .   ٢ - قطعى الثبوت .

٣ - يتعبد بتلاوته .   ٤ - يجب أداؤه بلفظه .

كيفيـــة نزول الوحـــى : -

كان ينزل الوحى على قلب الرسول (ﷺ) على حالتين ك -

الحـالة الأولى : - وهى أشـد على الرسـول - أن يأتيـه مـثل صلصلة الجـرس والصوت القوى يثير عوامل الأنتباه فتُهيأ النفس بكل قواها لقبول أثره ، فـإذا أنزل الوحى بهـذه الصـورة على الرسول (ﷺ) نـزل عليــه وهـو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه .

الحـالة الثـانيـة : - أن يتـمـثـل له الملك -ر جلا ويأتيـه فـى صـورة بشـر وهـذه الحـالة أخف من سـابقتـهـا ، حيث يكون التناسب بيـن المتكلم والسـامـع ويأنس رسول النبوة عند سماعـه من رسول الوحى ، ويطمئن إليـه أطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان .

ولقـد رمى الجـاهليـون قـديمـاً وحـديثـا الأباطيـل حـول الوحى والقـرآن للتشكيك فى العقيدة الإسلامية وإليك الردود على هذه الشبهات : -

زعموا أن القرآن الكريم من عند محمد (ﷺ) ، ابتكر معانيه وصاغ أسلوبه ، وليس وحياً يوحَى .

وهذا زعم باطل ، فإنه عليه الصلاة والسلام إذا كان يَّدعى لنفسه الزعامة ويتحدى الناس بالمعجزات لتأييد زعامته فلا مصلحة له فى أن ينسب مايتحدى به الناس إلى غيره ،وكان فى استطاعته أن ينسب القرآن لنفسه ،ويكون ذلك كافياً لرفعة شأنه ، والتسليم بزعامته ، مادام العرب جميعاً على فصاحتهم قد عجزوا عن معارضته ، بل ربما كان هذا أدعى للتسليم المطلق بزعامته لأنه واحد منهم أتى بما لم يستطيعوة .

حكمة نزول القرآن منجما

القرآن لم ينزل دفعة واحدة ، وإنما نُزلَ مفرقا ، لحكم عديدة وأسرار بعيدة نذكر بعضها : -

١ - تثبيت فؤاد النبى (ﷺ) .

لقد كان فى نزول القرآن الكريم مفرقاً على نفس الرسول (ﷺ) ، تثبت وطمأنينة لنفسه الشريفة ، ولقد أثار الكفار هذه المشكلة لماذا لم ينزل القرآن الكريم دفعة واحدة على الرسول : " وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، ، " (سورة الفرقان آية ٣٢) يعنون كما أنزل على مَن قبله من الرسل ، فأجابهم تعالى بقوله : " كذلك " أى أنزلنا مفرقاً لنثبت به فؤادك " أى لتقوى به قلبك ، فإن الوحى إذا كات يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقب ، وأشد

عناية بالمرسَل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول المَلَك إليه ،وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز ، فيحدث له من السرور ماتقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود مايكون فى رمضان لكثرة لقياه جبريل ، أنظر : الاتقان جـ ١ ص ٤١ .

نعم إنه لحظة فريدة فى نفس الرسول أن يتصل الوحى بنفسه الشريفة وأن تتصل السماء بالأرض ، فى شخص الرسول ، فلقد كانت هذه اللحظة ، وهذا اللقاء بمثابة الدفعة الإيمانية لتبليغ رسالة الله ، ويقف الإنسان مشدوداً عندما يتملى هذا المشهد الفريد بعقله وخياله بلقاء جبريل الأمين بالرسول (ﷺ) ، هذا اللقاء المهيب بين اللحظة والأخرى ، إنه التفاّعل فى نفس الرسول فى مثل هذا اللقاء ، كان يؤهل الرسول فى كل مرة لتبليغ الرسالة الخاتمة والكاملة والشاملة " وما أرسالنك إلا رحمة للعالمين " .

٢ - تيسير حفظة ومهنه : -

لقد نزل القرآن الكريم ، على الأمة العربية ، هى أمة أمية لاتعرف القراءةوالكتابة ، " هو الذى بعث في الأميّين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين " (الجمعة ٢) .

" الذين يتبعون الرسول النبى الأمي " (الأعراف ١٥٧) .

وما كان لهذه الأمة أن تحفظ القرآن بسهولة ويسر لو نزل مرة واحدة ولهذا ، كان نزوله مفرقاً أيسر على نفوس الصحابة فى فهمه وحفظه وتدبر معانيه ، والوقوف على أسرار أحكامه ، فعن أبى نظرة قال : كان أبو سعيد الخدرى يعلمنا القرآن خمس آيات بالغداة ، وخمس آيات بالعشى ، ويخُبر أن جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات (أخرجه ابن عساكر) .

وعن خالد بن دينار قال : " قال لنا أبو العالية : تعلمّوا القرآن خمس آيات خمس آيات ، فإن النبى (ﷺ) كان يأخذ من جبريل خمساً خمساً " (أخرجه البهيقى) .

٣ - الصبر فى الفهم والتعلم : -

لقد كان القرآن نزل على الرسول (ﷺ) بالأمر المشكل الذى لايستبين هو ولا أصحابه تأويله حتى ينزل اله عليهم بيانه بعد .

نزل فى قوله تعالى " وإن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يُحاسبكم به الله " (سورة البقرة آية ٢٨٤) . فأزعجت الصحابة إزعاجاً شديداً ، وداخل قلوبهم منها شئ ولم يدخلها من شئ آخر لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شئ حتى حركات القلوب وخطراتها - فقالوا : يارسول الله أنزلت علينا هذه

الاية ولانطبقـهـا . فـقـال لهم النبى ء : " أتريدون أن تقـولوا كـمـا قـال أهل الكتـابين من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيـانهـا : " لايكلف الله نفساً إلا وسعـهـا " . إلى آخر السورة المذكورة ، وهنالك علموا أنهم إنمـا يحاسبون على مايطبقـونه من شأن القلوب وهو ماكان من الفيـات المكسوبة والعزائم المستقرة ، ولا الخواطر والأمانى الجارية على النفس بغير أختيار . وموضع الشاهد منه أن النبى لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ولأزال اشباههم من فوره ، لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم فى أشد الحاجة إليه ، ولم يكن ليتركهم فى هذا الهلع الذى كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رؤف رحيم ، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها . ولأمر ما أخر الله عنهم هذا البيان . [أنظر د . محمد عبد الله دراز (النبأ العظيم ص ٢٩ ٩] .

٤ - التدرج فى التشريع : -

جاء القرآن فى بداية الأمر ، ليعمق مفهوم العقيدة ويستأصل مننفوس المسلمين شأفة الشرك بالله ، وكان يتناول قضية الإيمان والبعث والحشر والنشور .

بعد هذا التأصيل جاء القرآن متدرجاً لعلاج الأمراض الإجتماعية ومعلماً للشريعة السمحاء .

كما كان القرآن ينزل وفق الحواث التي تمر بها المسلمين فى جهادهم الطويل .

ففى مكة شرعت الصلاة ، وشُرع الأصل العام لزكاة مقارنا بالربا " فآت ذا القربى حقه والمسكين وَابْنَ السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجْهَ الله ، وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وماأتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المُضعفون " (الروم آية ٣٨ ، ٣٩) .

وخير مثال التدرج فى تحريم الخمر ، لقد جاءت الآية فى البداية تشير إلى أثمها دون تحريم قاطع " يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما " (البقرة آية ٢١٩) .

ثم جاءت الآية بعد ذلك تحرم الخمر تحريماً قاطعاً مراعية التدرج فى معالجة الأمراض الإجتماعية ، ولعل نزول القرآن منجماً يحقق هذا الهدف التشريعى السامي ، فجاءت الآية " ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد

الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون " (المائدة آية ٩٠ ، ٩١) .

ويوضح هذا ماروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قال : إنما نزل أول مانزل منه سورة من المُفصّل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا شاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شئ : " لاتشربوا الخمر " لقالوا لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : " لاتزنوا " لقالوا : لاندع الزنا أبداً " أخرجه البخارى .

٥ - تثبت الرسول وجماعة المؤمنين بسيرة السابقين : -

كان القرآن ، ينزل على الرسل (ﷺ) ، ليثبت الرسول ، والجماعة المؤمنة معه على الإبتلاءات والمحن ، فكان يهدف ، إلى تثبيت قلوب المؤمنين وتسلحهم بعزيمة الصبر واليقين ، بسبب ماكان يقصه القرآن عليهم من وقت لآخر - من قصص الأنبياء والمرسلين وماكان لهم ولاتباعهم من الأعداء والمخالفين ، وما وعد الله به عباده الصالحين ، من النصر والأجر والتمكين ، والآيات فى ذلك كثيرة حسبك منها قوله تعالى : " وعدو الله الذين آمنوا منكم وعملواالصلحات ليستخلفهم فى الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى أرتضى لهم . وليبدلنهم من بعد خوفهم

أمنا لايعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " (النور آية ٥٥).

٦ - مسايرة الحوادث ومواجهة الحياة فى ملابساتها الوقعية : -

نزل القرآن منجما ، لحكمة سامقة أيضاً ، ألا وهو مسايرة الحوادث والوقائع ، فكثيراً ماكان يعرض على الرسول التساؤلات وكان ينزل القرآن موضحاً ذلك : " ويسألونك عن الروح ، قل الروح منأمر ربى وما أوتيتم منالعلم إلا قليلا " (البقرة آية ٢٢٠) .

وهدف آخر ، ألا وهو مراعاة الأقضية والوقائع ، ولاشك أن هذه الوقائع لم تحدث جملة ، بل كانت على أوقات متفرقة مثل حادث الإفك " إن الذين جاءوا بالإفك عصيبة منكم " (النور ١١) .

وجاء القرآن لكى يبرئ ساحة السيدة عائشة رضى الله عنها ، من فوق سبع سموات . والأمثلة كثيرة فى القرآن على مثل هذه الحوادث ، نعم . . لقد كان لنزول القرآن الكريم منجماً حكم وأسرار عديدة أشرنا إلى طرف منها وهناك العديد من الأسرار ؟!

٧ - استفادة المنهج فى التربية والتعليم : -

والمنهج الذى يمكن أن نستفيده فى مجال التربيتوالتعليم هو مراعاة

المستوى العلمى والاستعداد الذهنى لدى الطلاب وتنمية قدراتهم العقلية والنفسية ، والجسيمة ، بمايوجهها الوجه السليمة نحو الخير والرشاد .

والمنهج الدراسى الذى لايُراعى فيه المستوى الذهنى للطلاب فى كل مرحلة من مراحل التعليم وبناء جزئيات العلوم على كلياتها والإنتقال من الإجمال الى التفصيل ، وأولا يراعى تنمية جوانب الشخصية العقلية والنفسية والجسمية منهج فاشل لاتجنى منه الأمة ثمرة علمية سوى الجمود والتخلف .

والمدرس الذى لايعى طلابه القدر المناسب فيثقل كاهلهم ويحملهم مالا مايطيقون حفظاً أو فهما أو يحدثهم بمالايدركون هو مدرس لم يجيد العملية التربوية .

وهكذا رسم القرآن فى نزوله منجماً النهج القويم فى التربية والتعليم ومأحرانا أن نتأسى بنهجه ونسير على دربه عند وضع مناهجنا العلمية ، وتأليف كتبنا .

جمع القرآن فى الصدر والسطور

العناية بالقرآن : -

كانت همة الرسول وأصحابه متجهة أول الأمر إلى حفظ القرآن وجمعه فى القلوب والصدور . وقد شغل المسلمون أنفسهم بقراءته فى صلاتهم وتهجدهم وسفرهم وحضرهم وليلهم ونهارهم ، وكان هناك جيش من القراءة وجموع من المسلمين تقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار .

ومع ذلك فإن عناية الرسول وصحابته فاقت كل عناية ، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه ، ولكن بمقدار ماسمحت لهم وسائل الكتابة وأدواتها فى عصرهم .

فها هو ذا رسول الله (ﷺ) قد اتخذ كتابا للوحى . منهم من كان يكتب فى بعض الأحيان ومنهم من كان منقطعاً للكتابة متخصصاً لها ، وكلما نزل شئ من القرآن أمرهم بكتابته مبالغة فى تسجيله وتقييده .

وزيادة فى التوثق والضبط والاحتياط فى كتاب الله تعالى حتى تظاهر الكتابة الحفظ ويعاضد النقش اللفظ .

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ومعاوية وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد وأبى بن كعب وزيد بن ثابت

وغيـرهم . وكـان (ﷺ) يدلهم على موضوع المكتوب من سورته فيكتبونه فيـما يسـهل عليهم من العسب ـ (جريدالنخيل) ، واللخاف (الحجارة الرقيـقة) ، وقطع الأديم "الجلد ") والرقـاع " من الورق والقـاغـد) وعظام الأكتاف والأضلاع ، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول (ﷺ) .

وهكذا انقضى العهد النبوى المبارك والقرآن مجموع على هذا النمط ، بيـد أنه لم يكتب فى صحف ولافى مصاحف ، بل كـان منشوراً بين الرقـاع والعظام ونحوهما مما ذكرنا .

روى عن ابن عبـاس أنه قـال : " كـان رسـول إذا نزلت عليـه سـورة دعـا بعض من يكتب فقـال : " ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيـه كذا وكذا " .

جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبى صلى الله عليه وسلم : -

كـان رسـول الله (ﷺ) مـولعـا بالوحى ، يتـرقب نزوله عليـه بشـوق ، فيـحفظه ويفهـمه ، مصدقاً لوعد الله : " ان علينا جمعه وقرآنه " فكان بذلك أول الحفاظ ،ولصحابتـه فيـه الأسوة الحسنة ،شغفا بأصل الدين فربما نزلت الآية المـقـررة ، وربمـا نزلت آيات عـدة إلى عـشـر ، وحكمـاً نزلت آية ومصدر الرسالة ، وقد نزل القـرآن فى بضع وعـشرين سنة ، فـربمـا نزلت الآية

المفردة وربما نزلت آيات عدة إلى عشر ، وكلما نزلت آية حفظت فى الصدور ، ووعتها القلوب ، والأمة العربية كانت بسجيتها قوية الذاكرة تستيعض عن أميتها فى كتابه أخبارها وأنسابها بسجل صدرها.

وقد أورد البخارى فى صحيحه بثلاث روايات سبعة من الحفّافظ هم: عبد الله بن مسعود ، وسالم بين معقل مولى أبى حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبّى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد بن السكن ، وأبو الدرداء .

١ - عن عبد اله بن عمرو بن العاص قال : " سمعت رسول اله (ﷺ) يقول: " خذو القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبى بن كعب " رواه البخارى . وهؤلاء الأربعة : أثنان من المهاجرين هما : عبد الله بن مسعود وسالم ، وأثنان من الأنصار هما معاذ وأبىّ .

٢ - عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : مَن جمع القرآن على عهد رسول الله ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار : أبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، قلت مَن أبو زيد ؟ قال أحد عمومتى . رواه البخارى

٣ - وروى من طريق ثابت عن أنس كذلك قال : [illegible]ت النبى (ﷺ) ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت وأبو زيد . رواه البخارى .

وذكر هؤلاء الحفاظ السبعة أو الثمانية ، ولايعنى الحصر ، فإن النصوص الواردة فى كتب السير والسنن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون فى حفظ القرآن ، يحفظونه أزواجهم وأولادهم و ويقرأون به فى صلواتهم بجوف الليل ، حتى يسمع لهم دوى كدوى النحل ، وكان رسول الله (ﷺ) يمر على بيوت الأنصار ويستمع إلى ندى أصواتهم بالقراءة فى بيوتهم .

وذكر هؤلاء الحفاظ السبعة أو الثمانية لاتعنى - كما قلنا الحصر ، وإنما هو محمول على أن هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كله فى الصدور ،وعرضوه على النبى (ﷺ) واتصلت بنا اسانيدهم ، أما غيرهم من حفظةالقرآن - وهم كثير - فلم تتوفر فيهم هذه الأمور ، كلها لاسيما وأن الصحابة تفرقوا فى الأمصار ، وحفظ بعضهم عن بعض ، ويكفينا دليلا على ذلك أن الذين قتلوا فى بئر معونة من الصحابة كان يقال لهم القراءة وكانوا سبعين رجلاً كما فى الصحيح .

أما القرطبى : (قتل يوم اليمامة سبعون من القراء وقتل فى عهد النبى (ﷺ) ببئر معونة مثل هذا العدد) .

جمع القرن بمعنى كتابته فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم : -

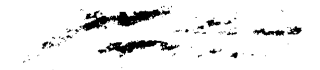
اتخذ رسول الله كتُابا للوحى من أجلاء الصحابة . كعلى ، ومعاوية ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وتنزل الآية فيأمرهم بكتابتها ويرشدهم إلى موضعها فى سورتها ، حتى تُظاهر الكتابة فى السطور ، الجمع فى الصدور.

وكان بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم ، ماشاء الله أن يكتبوا ويحتفظون به فى بيوتهم ليرجعوا إليه متى أرادوا .

عن زيد بن ثابت قال : " كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع . (أخرجه الحاكم فى المستدرك بسنده على شرط الشيخين) .

وهذا يدل على مدى المشقة التى كان يتحملها الصحابة فى كتابة القرآن ، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل ، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ .

وكان جبريل يعارض رسول الله (ﷺ) بالقرآن كل سنة فى ليالى رمضان ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه . " كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس وكان أجود مايكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله (ﷺ) حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة (متفق عليه) .



ولم تكن هذه الكتابة فى عهد النبى (ﷺ)مجتمعة فى مصحف عام ، بل عند هذا ماليس عند ذاك ، وقد نقل العلماء أن نفرا منهم . على بن أبى طالب ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ،وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود . قد جمعوا القرآن كله على عهد رسول (ﷺ) وذكر العلماء أن زيد بن ثابت كان عرضه متأخراً عن الجميع .

وقبض رسول الله (ﷺ) والقرآن محفوظ فى الصدور ومكتوب فى الصحف ، مفرق الآيات والسور ، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة فى صحيفة على حده بالأحرف السبعة الواردة . ولم يجمع فى مصحف عام ، حيث كان الوحى ينزل تباعاً فيحفظه القراءة ،ويكتبه الكتبه ولم تدع الحاجة إلى تدوينه فى مصحف واحد لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحى من وقت لآخر ، وقد يكون منه الناسخ لشئ نزل من قبل ، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها ترتيب النزول بل تُكتب الآية بعد نزولها حيث يشير (ﷺ) إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا فى سورة كذا ، ولو جُمعَ القرآن كله بين دفتى مصحف واحد لأدى هذا إلى التغيير كلما نزل شئ من الوحى .

قال الزركشى : وإنما لم يكتب فى عهد النبى (ﷺ) مصحف لئلا يفضى إلى تغييره فى كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته (ﷺ) .

وبهذا يفسر ماروى عن زيد بن ثابت قال : " قبض النبى (ﷺ) ولم يكن القرآن جمع فى شئ " أى لم يكن جُمعَ مرتب الآيات والسور فى مصحف واحد .

قال الخطابى : إنما لم يجمع (ﷺ) فى المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما أنقضى نزوله بوفاته اللهم الله الخلفاء الراشدين ذلك ، وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر (أنظر الاتقان فى علوم القرآم جـ ١ ص ٢٤٥)

ويسمى هذا الجمع فى عهد النبى (ﷺ) : حفظاً وكتابة " الجمع الأول " .

جمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق : -

كما قلنا لم يجمع القرآن فى كتاب واحد فى حياة النبى ، بل كان مجزءاً فى العسب واللخاف والعظام وماتيسر من الرقاع و[illegible]رهما مما يكتب عليه .

وأنما لم يجمع القرآن فى حياة الرسول لاستمرار نزول الوحى واحتمال نزول ناسخ لبعض الآيات . ولعدم الحاجة الى جمع المصحف طالما رسول الله بين المسلمين فلما تولى أبو بكر خلافة المسلمين ، نشط لحرب المرتدين عن

الإسلام واستشهد جمع من المسلمين فى هذه الحروب خصوصاً فى معركة اليمامة التى قتل فيها مسيلمه الكذاب واستشهد فيها من المسلمين مائتان وألف بينهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة وسبعون من حفاظ القرآن . (انظر د . محمد حسنين هيكل : الصديق أبو بكر ص ٢٠٩) .

ونظراً لهذه الأحداث الجسام ، هال ذلك عمر بن الخطاب ، ودخل علي أبى بكر رضى الله عنه وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع ، فإن القتل قد استحر (أى بمعنى اشتد) يوم اليمامة بالقراء ويخشى إن استحربهم فى المواطن الأخرى أن يضيع القرآن وينسى فنفر أبو بكر من هذه المقالة وكبر عليه أن يفعل مالم يفعله رسول (ﷺ) وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبى بكر لهذا الأمر ، ثم أرسل إلى زيد ين ثابت لمكانته فى القراءة والكتابة والفهم والعقل ، وشهوده العرضة الأخيرة، وقص عليه قول عمر - فنفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر من قبل ، وتراجعا حتى طابت نفس زيد للكتابة ، وبدأ زيد بن ثابت فى مهمته الشاقة معتمدا على المحفوظ فى صدر القراء ، والمكتوب لدى الكتبة ، وبقيت تلك الصحف عند أبى بكر ، حتى إذا توفى سنة ثلاث عشر للهجرة صارت بعده إلى عمر ، وظلت عنده حتى مات - ثم كانت عند حفصة ابنته صدراً من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصه .

ولقد روى البخارى فى صحيحه أن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال " أرسل إلىّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضى الله عنه : إن عمر أتانى فقال: إن القتل قد استحر (أى أشتد) يوم اليمامة بالناس ، وأنى أخشى أن يستمر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القراء الا أن يجمعوه ، وإنى لأرى أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر قلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى ورأيت لذى رأى عمر . قال زيد : وعنده عمر جالس لايتكلم ، فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ولانتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله (ﷺ) فتتبع القرآن فاجمعه ، فالله لو كفلونى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علىّ مما أمرن به من جمع القرآن . قلت كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله (ﷺ) ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدره للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم غزيز عليه ماعنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت ، وهو ربُ العرش العظيم " (سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩) .

وقد راعى زيد بن ثابت نهاية التثبيت ، فكان لايكتفى بالحفظ دون الكتابة وقوله فى الحديث : " وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره " لايعنى هذا ، أنها ليست متواترة وإنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ، وكان زيد يحفظها ، وكان كثير من الصحابة يحفظونها كذلك ، لأن زيداً كان يعتمد على الحفظ والكتابة معاً ، فكانت هذه الآية محفوظة عند كثير منهم ، ويشهدون بأنها كتبت ولكنها لم توجد مكتوبة إلا عند أبى خزيمة الأنصارى .

والواضح أن اختبار زيد لهذه المهمة الجسيمة بل والكثيرة ، كان فى مكانه الصحيح ، لأن زيد شاب وهو أقدر من الشيوخ على تحمل تبعات هذه المهمة الكبيرة ، زد على ذلك أن زيد التزم المنهج العلمى والأمانة العلمية فى النقل ، فكان يطابق بين العلم المسطور والعلم فى الصدور فى نقل الآيات القرآنية وتسجيلها ومن جانب آخر ، كان زيد قد سمع القرآن جميعه من رسول الله ووعاه معه جموع المسلمين وكتبوه أيضاً ، وكان الحفظ مستفيضاً والكتابة معروفة لجميع نصوص القرآن غير آيتين من آخر سورة التوبة .

ونستطيع القول أن زيد كان يتبع المنهجية العلمية ،لدرجة أنه كان لايقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول (ﷺ) .

وأخرج ابن أبى دواود أيضاً من طريق هشام بن عروة عن أبيه " أن أبا بكر قال لعمر ولزيد : أقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه " وقال ابن حجر " وكأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب " .

وقد عرفنا أن القرآن كان مكتوباً من قبل فى عهد النبى (ﷺ) ، ولكنه كان مفرقاً فى الرقاع والأكتاف والعسب فأمر أبو بكر بجمعه فى مصحف واحد مرتب الآيات والسور وأن تكن كتابته غاية من التثبيت مشملة على الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، فكان أبو بكر رضى الله عنه أول من جمع القرآن بهذه الصفة فى مصحف واحد ، وإن وجدت مصاحف فردية عند بعض الصحابة كمصحف علىّ ، وابن مسعود ، فإنها لم تكن على هذا النحو من التحرى والدقة ، والجمع والترتيب ، والإجماع عليها ، بمثل مانال مصحف أبى بكر ويرى بعض العلماء أن تسمية القرآن بالمصحف نشأ منذ عهد أبى بكر وعن على قال " أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله " .

وهو الجمع هو المسمى (بالجمع الثانى)

جمع القرآن فى عهد عثمان رضى الله عنه : -

اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان رضى الله عنه وتفرق القراء فى الأمصار ، وفى ميادين القتال ، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد اليهم قراءته .

ووجوه القراءة التى يؤدون بها القرآن ، مختلفة باختلاف الأحرف التى نزل عليها ، فاختلف الناس فى القراءة ، عظم اختلافهم وتشتتهم حتى أن الرجل يقول لصاحبه: أن قراءتى خير من قراءتك ، وأفضل من قراءتك .وبلغ الأمر من ذلك حتى كاد يكون فتنة . اختلفوا واتنازعوا وأظهر بعضهم تكفير بعض والبراءة منه وتلاعنوا .

وجاء عن أنس : " أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع خذيفة اختلافهم فى القراءة ، فقال لعثمان أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك - فأرسلت بها حفصة إلى عثمان - فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن

ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتي إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بماسواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ، وقال زيد : آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله (ﷺ) يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها عن خزيمة بن ثابت الأنصارى .

" من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه " (الأحزاب ٢٣) .

فالحقناها فى سورتها فى المصحف (رواه البخارى) .

ونستطيع أن نلخص أهم الأسباب التى دفعت عثمان رضى الله عنه وأرضاه فى جميع المصحف على حرف واحد (كما وردت فى الروايات) .

١ - كما يفيد الحديث السابق أن جمع الناس على مصحف واحد بقراءة واحدة كان بمشورة حذيفة بن اليمان لفزعه من اختلاف الناس فى القراءة مما يؤدى إلى لحن القرآن ، والخروج به عن أهدافه ومراميه .

٢ - فمنها مايفيد أن السبب هو أن عثمان رأى اختلاف معلمى القرآن بعضهم مع بعض وتعصبهم لقراءة تعلموها ، وأفكارهم لماعداها .

روى أبن أبى داود فى المصاحف أنه لما كانت خلافة عثمان جعل الرجل يعلم قراءة الرجل ، والرجل يعلم قراءة الرجل ، فجعل العلماء يلتفون فيختلفون حتى ارتفع الأمر إلى المسلمين وكفر بعضهم بعضاً ، فبلغ ذلك عثمان ، فخطب فقال : أنتم عندى تختلفون فمن نأى غنى من الأمصار أشد أختلافاً .

وهذا يدل على أن ماصنعه عثمان قد أجمع عليه الصحابه ، كتبت مصاحف على حرف واحد من الأُحرف السبعة التى نزل بها القرآن ، ليجتمع الناس على قراءة واحدة ، ورد عثمان الصحف إلى حفصة ، وبعث إلى كل أفق بمصحف من المصاحف ، واحتبس بالمدينة واحداً هو مصحفه الذى يسمى المصحف الإمام وتسميته بذلك لماجاء فى بعض الروايات السابقة : " اجتمعوا ياأصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما " . وأمر أن يحرق ماعدا ذلك من صحيفة أوصحف ،وتلقت الأمة ذلك بالطاعة ، وتركت القراءة بالأحرف السبعة ليست واجبة و ولو أوجب رسول الله (ﷺ) على الأمة القراءة بها جميعاً لوجب نقل كل حرف منها نقلاً متواتراً تقوم به الحجة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فدل على أن القراءة بها من باب الرخصة ، وأن الواجب هو تؤتر النقل ببعض هذه الأحرف السبعة وهذا هو ماكان .

جماعة المصحف

تختلف الروايات فى عدد الحفاظ الذين عهد اليهم عثمان رضى الله عنه بكتابة المصحف ، فمنها مايفيد أنه عهد الى زيد بن ثابت بكتابته ورواية البخارى تفيد أن الجماعة كانت مكونة من أربعة .

وجاء فى رواية ابن أبى دواود أن الجماعة كانت مكونة من أثنى عشر رجلاً .

ويتضح من جملة الروايات أن زيد بن ثابت كان رئيس الجماعة وأن عثمان ندب معه ثلاثة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ .

أسماء كتبة المصحف العثمانى

ذكر البخارى أن عددهم أربعة

١ - زيد بن ثابت .

٢ - عبد الله بن ثابت .

٣ - سعيد بن العاص .

٤ - عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

ورئيس الجماعة وحده من الأنصار ، وأما الثلاثة الباقون فهم من قريش وقال عثمان : للرهط القرشيين الثلاثة " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم " .

الرسم العثمانى

قلنا إن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أوحى الجماعة بكتابة المصحف " ويسمى العلماء هذه الطريقة بالرسم العثمانى نسبة إليه ، واختلف العلماء فى حكمة .

وتعددت الآراء والاجتهادات حول رسم المصحف بالرسم العثمانى ، ففريق يرى أنه توقيفى ، أى يجب الأخذ به فى كتابة القرآن ونسبوا التوقيف الى النبى (ﷺ) كما ذكر ذلك صاحب مناهل العرفان .

وذهب الأمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة مصحف الإمام فى واو أو ياء أوغير ذلك (انظر : الاتقان للسيوطى حـ ٤ ص ١٤٦) ولعل هذا ماذهب إليه السلف وماسار عليه التابعون من غير تبديل ولاتغيير .

وذهب فريق آخر من العلماء أمثال أبو بكر الباقلانى فى كتابه الانتصار إلى جوار كتابة المصحف بالخط الهجائى ،لغدم وجود مايدل عل وجود كتابته بالرسم العثمانى من كتاب أو سنة .

وذهب العز بن عبد السلام إلى مثل هذا الرأى ولعل الدافع من اجتهادهما خشية وقوع التغيير فى القرآن من قبل الجهال ولتيسير حفظه على الناس .

والرأى الذى نطمئن إليه نفسى أن يظل المصحف على حالة كما هو بالرسم العثمانى ، ولعل إجتهاد هؤلاء الأتقياء أمثال زيد بن ثابت فى زمن عثمان رضي الله عنه مايجعلنا متبعين في هذا الأمر أولي وأجدر ، فجاء أن عثمان رضى الله عنه قال لزيد وللقرشيين " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ،فإنه إنما نزل بلسانهم " وحين اختلفوا فى كتابة " التابوت " فقال زيد " التابوه " وقال النفر القرشيون : " التابوت " وترافعوا إلى عثمان قال " اكتبوا " " التابوت " فإنما نزل القرآن على لسان قريش .

فهذا الرسم الإصطلاحى الذى توارثته الأمة منذ عهد عثمان رضى الله عنه والحفاظ عليه ضمان قوى لصيانة القرآن من التغيير والتبديل فى حروفه ، ولو أبيحت كتابته بالأصطلاح الإملائى لكل عصر لأدى هذا إلى تغيير خط المصحف من عصر لآخر ، بل إن قواعد الإملاء نفسها تختلف فيها وجهات النظر فى العصر الواحد وتتفاوت بعض الكلمات من بلد لآخر .

تحسين الرسم العثمانى

نود أن نشير إلى أن المصاحف العثمانية ، كانت خالية من النقط والشكل واعتمادا على السليقة العربية فى تذوق اللغة ، فلما تطرق إلى اللسان العربى الفساد نظرا لكثرة الاختلاط ، أحس أولو الأمر بضرورة كتابة المصحف بالشكل

والنقـاط وغيـرهمـا من الأشكال التى نراها اليـوم للمسـاعـدة على القـراءة الصحيحة.

ولعل أول من فـعل ذلك أبو الأسـود الدؤلى الذى إليـه وضع ضـوابط للعـربيـة بأمر على بن أبى طالب ، ويروى فى ذلك أنه سمع قـارئاً يقـرأ قـوله تعالى " أن الله بريئ من المشركين وورسولهُ " (التوبة اية ٣) . فقرأها بجر اللام من كلمة " ورسوله " فأفزع هذا اللحن أبا الأسود وقال : عز وجه الله أن يبرأ من رسول ثم ذهب إلى والى البصرة وقال له : قد اجبتك إلى ماسألت ، وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله فتباطأ فى الجواب حتى راعه هذا الحادث ، وهنا طفق أبو الأسود فى وضع العلامات .

وتم البتدريج وضع العلامات وتحسينها بالمحصف العثمانى كعلامات الوقف الجائر وعلامات التعانق وغيرهما ، وقد وصلت العناية بالمصحف بتحسين رسمه إلى الشكل الذى نراه عليه وهو مايمثل الذروة فى الخط العربى.

ترتيب آيات وسور القرآن الكريم

ترتيب الآيات

ترتيب الآيات فى المصحف ، توقيفى من غير خلاف بين المسلمين فقد كان جبريل يراجع النبى (ﷺ) ويدراسة إياه فى رمضان ، ويرشده إلى مكان كل آية ، وترتيب ايات كل سورة حتى لقى النبى (ﷺ) ربه والقرآن محفوظ فى صدور المسلمين متواتر بطريقة أدائه وترتيب آياته .

وقال تعالى : " ورتل القرآن ترتيلا " وقد فسر بعضهم الترتيل بأنه قراءة القرآن حسب ترتيبه الوارد من غير تقديم ولا تأخير وثبت أنه (ﷺ) قرأ سوراً عديدة بترتيب آياتها في الصلاة وفى خطبة الجمعة بمهشد من الصحابة فكان ذلك دليلاً صريحاً على أن ترتيب الآيات توقيفى ، وماكات الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبى (ﷺ) يقرأ على خلافه ، فبلغ ذلك مبلغ لتواتر ، وبهذا يكون ترتيب آيات القرآن كما هو فى المصحف المتداول فى أيدينا توقيفياً ، لامراء فى ذلك و قال السيوطى بعد أن ذكر أحاديث السور المخصوصة : " تدل قراءته (ﷺ) بمشهد من الصحابة على أن ترتيب آياتها توقيفى وماكان الصحابة ليرتبوا ترتيباً سمعوا النبى (ﷺ) يقرأ على خلافه ، فبلغ ذلك مبلغ التواتر " (١)

(١) راجع : الإتقان فى علوم القرآن جـ ١ ص ٦١ .

ترتيب سور القرآن

ذهب العلماء فى هذا الأمر على ثلاثة مذاهب : -

الرأى الأول : - الذى يرى أنه توقيفى كما أمر به النبى (ﷺ) وكان جبريل يراجعه فى ذلك .

الرأى الثانى : - إجتهادى ، أى أنه كان باجتهاد الصحابة ، واختلاف مصاحف الصحابة ، فمصحف على كرم الله وجهه - مثلا كان مرتبا على النزول بـ " أقرأ " بخلاف مصحف ابن مسعود كان مرتباً بـ " البقرة ".

الرأي الثالث : أن القرآن توقيفى فى مجمله إلا القليل باجتهاد الصحابة ، والمتأمل فى هذه الآراء ، يجد أن هناك العديد من الأدلة التى ترجح أن يكون القرآن فى مجمله توقيعياً ، أما القسم الاجتهادى فإنه لايستند إلى دليل يدل على أن ترتيبه اجتهادى ، إذا أن ثبوت التوقيفى بأدلته لايعنى أن ماسواه اجتهادى .

والرأي الذى نطمئن إليه أن ترتيب سور القرآن مثل ترتيب آى القرآن توقيفياً ، مثلما كان فى اللوح المحفوظ ،ونزل إلى بيت العزة فى السماء الدينا ، زد على ذلك أن جبريل الأمين كان يراجع الرسول (ﷺ) كل سنة من رمضان.

وعلى كل حال حتى لوفرضنا أن ترتيب السور توقيفياً أم اجتهاياً فإنه ينبغى احترامه خصوصاً فى كتابة المصاحف لأنه عن إجماع الصحابة ، والإجماع حجة ، ولأن خلافه يجر إلى الفتنة ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب .

القرآن المكى والمدنى

سبق أن قلنا إن الإسلام منهج شامل كامل متوازن ، وأن هذا المنهج الشامل العميق ، كان يتطلب تبليغه فترة من الزمن ، ظلت مايقرب من ثلاث وعشرين عاماً ، نزلت الآيات خلالها على قلب الرسول (ﷺ) منها المكى والمدنى أى مانزل بمكة ومانزل بالمدينة ومانزل بأماكن آخرى حسب الظروف والمناسبات كالغزوات وغيرها ، فلقد نزل القرآن على الرسول بعد غزوة بدر الكبرى ، وغيره من المناسبات .

ونود أن نشير إلى طبيعة القرآن المكى ، والقرآن المدنى ، إذ أن معرفة طبيعتها تفيدنا كثيراً عند التفسير وعند الاجتهاد فى استنباط الأحكام ، فواجب الإلمام بهما للمسلم عامة ، وللمتخصص خاصة.

ولذا . . اجتهد العلماء فى بيان وإيضاح حقيقة القرآن المكى والقرآن المدنى وللعلماء فى هذا الصدد عدة آراء نذكر منها : -

الرأى الأولى : - أى المكى مانزل بمكة ، سواء نزل بمكة نفسها ، أم نزل فى مكان قريب منها كمنى وعرفات والحديبية ، ولأن ماقارب الشيء يعطى حكمه سواء كان نزوله قبل الهجرة أم بعدها ، والمدنى مانزل فى المدنية نفسها أم فى مكان قريب منها كبدر وأحد وغيرهما ، وعلى هذا الرأى يكون المعتبر فى التقسيم مكان النزول ، وعليه أيضاً يكون مانزل فى غير مكة والمدينة وضواحيها كالذى نزل فى سفر من الأسفار قسما مستقلاً لايطلق عليه مكى ولامدني .

الرأى الثانى : اعتبار زمن النزول ، فالمكى : مانزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة ، والمدنى : مانزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدنية .

وإلى الرأى الثانى نميل ، إذ هو أقرب إلى الحصر والأضطراد .

ولعلنا لو تأملنا فى القرآن الكريم لوجدنا أن القرآن الكريم فى مكة يتميز بعدة خصائص نحب أن نسلط الأضواء عليها .

١ - احتفى القرآن المكى بتعميق عقيدة التوحيد فى النفوس (راجع موضوعنا الاسلام منهج الشمول والتوازن) ، إذ أن ترسيخ العقيدة ، وتعميق عقيدة التوحيد كانت هى الشغل الشاغل للقرآن المكى ، ومن ثم نجد أن آيات القرآن وسوره فى صدر الدعوة الرسلامية كانت تركز على مثل هذه الحقائق التوحيد ، البعث ، الحشر ، النشور الجنة النار .

٢ - تميزت سور القرآن الكريم فى المجتمع المكى بقصرها (إلى حد ما) عن القرآن المدني ، لأن هذا الأسلوب كان يتناسب مع العقلية العربية التى كانت فى مهدها ، وكان من حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون السور قصيرة حتى يسهل على المؤمنين به ، تعلم حقائقه الجديدة التى أتى بها كالتوحيد ونفى الشرك به ، وهو منهج تربوى عظيم بأنه ينبغى الإلتزام بالتدرج فى توصيل المفاهيم والمعلومات للمتلقى .

٣ - يلاحظ على أن القرآن المكى ، فى سياقه التعبيرى اللجوء إلى صيحة النذير ، لأن النفوس قد أصابها غبش مما ران عليها من تخلف وبعد عن منهج الله ، فكان ولابد من هذا النهج حتى تفيق هذه النفوس من سباتها ولذلك نجد أن الآيات المكية تستخدم لفظ " كلا "

٤ - تميز القرآن المكى فى أنه يعرض لقصص وسيرة الأنبياء السابقين لتثبيت فؤاد النبى وصحابته على هذا الدين ، فمعظم القصص القرآن فى غالبه نزل فى مكة .

٥ - القرآن الكريم فى مجملة يتسم بالاعجاز والتحدى البلاغى ، ولكن ظهر ذلك بصورة اكثر فى القرآن المكى ، لأن الأمة العربية بسليقتها ، أمه تجيد العربية وتتذوق الأساليب البلاغية ، والألفاظ اللغوية العالية فجاء

القرآن الكريم فى الجتمع المكى ليواجه هذا المجمع المكى بنوع التحدى ولقد أفاض العلماء فى هذا الجانب .

القــرآن المــدنى

بعد أن استقرت الدعوة الإسلامية ، فى النفوس ، نزل القرآن المدنى بعد الهجرة على قلب الرسول (ﷺ) ، فى المجتمع المدنى لكى يعالج القضايا والموضوعات التى تهم المجتمع الإسلامى .

١ - تقنين التشريعات كالزكاة وتحريم الخمر وغيرهما من الموضوعات ولهذا نزلت الآيات فى المجتمع المدنى ، صحيح أننا لاننكر أن هناك مقدمات لمثل هذه الموضوعات فى المجتمع المكى كالحض على الصدقة ، ولكن تفصيل الزكاة كان فى مكة . فالتشريع بمعناه الدقيق كان فى القرآن المدنى .

٢ - جاءت الآيات المدنية كما قلنا بعد أن استقرت العقيدة فى النفوس ، وتذوق المسلمون حلاوة الإيمان ، لذلك نجد أن الآيات والسور المدنية أطول نسبيا عن مثيلاتها من السور المكية مثل : سورة البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنفال التوبة ، النور ، الاحزاب ، محمد ، وغيرهم من السور المدنية.

نقول إن هذه السور نزلت بعد أن تكون الجيل المسلم ، الذى يبحث فى قضايا الإسلام ، وينقب عن آيات التشريع ليطبق المنهاج الصحيح فى دينه ودنياه .

إذن جاءت الآيات المدنية

لتوضح العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، ونظام الأسرة والمواريث ، وفضيلة الجهاد ، والصلات الإجتماعية ، والعلاقات الدولية فى السلم والحرب ، وقواعد الحكم ، ومسائل التشريع .

٣ - من الخصائص أيضا للقرآن المدنى أنه يفضح سلوك المنافقين وكشف النقاب عن حقيقتهم وبيان خطرهم على الدين ، سيما أن الإسلام قد قويت شوكته واصبح له رجال يذودون عن حياضة . فجاء القرآن المدنى ليحل مثل هذه القضايا ويدعو أهل الكتاب إلى الدخول إلى حظيرة الرسلام ، وبيان تحريفهم لكتاب الله (راجع مثلاً سورة البقرة) .

فكما قلنا آنفا أن معرفة الفرق بين القرآن المكى والمدنى يغنينا فى تفسير القرآن ، وأيضاً تذوق الأسلوب يفيد فى منهج الدعوة إلى الله .

العبـــادات

(الوضـــوء)

هو بضم الواود (لغـة) مـأخـوذ من الوضـاءة ، وهى الحـسن والنظافـة .وبفتح الواود اسم لما يتُوضأ به ويقال بالفتح والضم فيهما (وشرعاً) طهارة مائية تتعلق بالأعضاء الأربعة وهى : الوجه ، واليدان ، والرأس ، والرجلان .

١ - دليل مشروعيته : -

الدليل الأول : -القرآن الكريم ، قال الله تعالى : " يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيدكم إلى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم إلى الكعبين " (سورة المائدة آية ٦) .

الدليل الثانى : السنة النبوية ، " لايقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ " رواه الشيخان وأبو داوود والترمذى .

الدليل الثالث : الإجماع : انعقد إجماع المسلمين على مشروعية الوضوء من رسول الله (ﷺ) ، إلى يومنا هذا ، فصار معلوما من الدين بالضرورة.

(فـرائض الوضـــوء)

هى جمع فرض ، وهو لغة التقدير ، وشرعاً المطلوب فعله جازماً وللوضوء فرائض وأركان تترتب منها حقيقته ، إذا تخلف فرض منها لايتحقق ولايعتد به شرعاً ، وإليك بيانها : -

١ - النيــة : -

وهى لغة القصد . واصطلاحاً قصد الشئ مقترنا بفعله (ووقتها) عند غسل الوجه ويغتفر تقديمها عليه بزمن يسير خلافاً للشافعية حيث قالوا: لابد من مقارنتها لأول غسل الوجه . ولايغتفر تقدمها ولو يسيرا . وحقيقتها ، الإرادة المتوجهة نحو الفعل، ابتغاء رضا الله تعالى ، وأمتثال حكمة ، وهى عمل قلبى محض لادخل للسان فيه ، والتلفظ بها غير مشروع ودليل فرضيتها حديث عمر رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) ، قال : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى مانوى . . . " الحديث رواه الجماعة .

٢ - غسل الوجه : -

هو فرض فى الوضوء ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم " . وعن ابن عباس أنه توضأ فغسل وجهه فأخذ غرفة من ماء فتمضمض بها واستنشق ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا أضافها إلى يده الأخرى فغسل بها وجهه . ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى . ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى . ثم مسح برأسه . ثم أخذ غرفة منماء فرش بها على رجله اليمنى حتى غسلها ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بهارجله اليسرى ، ثم قال : هكذا

رأيت رسول الله (ﷺ) يتوضأ . أخرجه البخاري .

إذن غسل الوجه مرة واحدة : أى إسالة الماء عليه ، لأن معنى الغسل الإسالة ، وحد الوجه من أعلى تسطيه الجبهة إلى أسفل اللحين طولاً ، ومن شحمه الزذن إلى شحمة الأذن عرضاً .

٣ - غسل اليدين إلى المرفقين : -

غسل اليدين إلى المرفقين ، والمرفق هو المفصل الذى بين العضد والساعد ، ويدخل المرفقان فيما يجب غسله وهو المضطرد من هدى النبى (ﷺ) ، ولم يرد عنه (ﷺ) ، أنه ترك غسلهما .

وإذا كان المتوضئ مقطوع بعض اليد غسل مابقى مع المرفقين ، فإن كان مقطوعاً من فوقهما غسل مابقى منهما ، وإن كان مقطوعاً ولم يبق شئ من المرفقين فلاغسل عليه .

هذا . وإذا كان المتوضئ لابساً خاتما ضيقاً ، لزمه تحريكه ليصل الماء إلى ماتحته عند الثلاثة (وقالت) المالكية : لايجب تحريك الخاتم المباح وإن كان ضيقاً لايصل الماء إلى ماتحته . فإن نزعه بعد الطهارة ، لزمه غسل ماتحته إن ظن أن الماء لم يصل إليه ، أما المحرم أو المكروه والضيق نقله من موضعه ليتمكن من دلك ماتحته ، ويكفى تحريك الواسع وإن لم تصل إلى

ماتحته اكتفاء بالدلك به . ومثل الخاتم في ذلك حلى المرأة من أساور وخلاخل ونحوهما .

٤ - مسح الرأس : -

مسح الرأس ، هو فرض فى الوضوء بالإجماع ، لو روده فى القرآن وثبوته من فعله (ﷺ) . قال الله تعالى : " وامسحوا برءوسكم " .

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم أن رسول الله (ﷺ) مسح رأسه بيديه ، فأقبل بهما وأدبر . بدأ بمقدم رأسه ، ثم ذهب بهما إلى قفاه ، ثم ردهما إلى المكان الذى بدأ منه ، ثم غسل رجليه . " أخرجه الجماعة " .

والمسح معناه الإصابة بالبلل ولايتحقق إلى بحركة العضو الماسح ملصقاً بالممسوح فوضع اليد أو الأصبع على الرأس أو غيره لايسمى مسحاً .

والآية لاتقتضى تعميم الرأس بالمسح ، لأن الباء فى قوله " وامسحوا برؤسكم " للألصاق . فالمعنى ألصقوا المسح بها . وماسح الكل والبعض كلاهما ملصق المسح بها . لذا اختلف العلماء فى قدر المفروض مسحه . فأخذ مالك وأحمد ، فأوجبوا مسح كل الرأس عملا بالحديث وأخذ الشافعيون باليقين وقالو يكفى مسح شعره وقال الحنفيون المفروض فى مسحها قدر الربع ويمكننا القول أن هناك طرائق ثلاث فى مسح الرأس : -

أ - مسج جميع رأسه : - لما تقدم من حديث عبد الله بن زيد : " أن النبى (ﷺ) ، مسح رأسه بيديه . . . . إلخ .

ب - مسحه على العمامة وحدها : ففى حديث عمر بن أمية رضى الله عنه قال : " رأيت رسول الله (ﷺ) ، يمسح على عمامته وخفيه " رواه أحمد والبخارى وابن ماجة .

جـ - مسحه على الناصية والعمامة ، ففى حديث المغيرة ابن شعبة رضى الله عنه : " أن النبى (ﷺ) ، توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين رواه مسلم .

هذا هو المحفوظ عن رسول الله (ﷺ) ، ولم يحفظ عنه الاقتصار على مسح بعض الرأس ، وإن كان ظاهر الآية يقتضيه كما تقدم .

٥ - غسل الرجلين مع الكعبين : -

هو فرضٌ فى الوضوء باتفاق الأئمة ، وأكثر أهل العلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم ، لقوله تعالى : " وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين " ينصب على الأرجل عطفا على الوجوه ، أى واغسلوا أرجلكم مع الكعبين وهما العظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم ، ولما ثبت عن النبى (ﷺ) فعلا وقولاً ، أما الفعل فقد ثبت بالنقل المستفيض المتواتر أنه (ﷺ) غسل رجليه فى الوضوء .

قال النووى : ذهب جمع من الفقهاء من أهل الفتوى إلى أن الواجب غسل القدمين مع الكعبين ولايجرى مسحهما ولايجب المسح مع الغسل .ولم يثبت خلاف هذا عن أحد يعتد به فى الإجماع .

وقال ابن عمر ، رضى الله عنهما . تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى سفره فأدركنا وقد أرهقنا [١] العصر ، فجعلنا نتوضأ ونمسح أرجلنا فنادى بأعلى صوته : " ويل للأعقاب من النار " مرتين أو ثلاث . متفق عليه .

وهذا يدل على أن الغسل هو الفرض ، وهو ماذهب إليه الجمهور . [٢]

٦ - الترتيب : -

قال الشافعى وأحمد : الترتيب فى الوضوء كما فى الآية فرض لأن الله تعالى أدخل ممسوحا بين مغسولين ، والعرب لاتقطع النظير عن نظيره إلا لفائدة ، وهى هنا الدلالة على الترتيب والآية ماسبقت إلا لبيان الواجب ، ولأن كل من حكى وضوء النبى (ﷺ) حكاه مرتباً ، ولم ينقل عنه (ﷺ) أنه توضأ إلا مرتباً . والوضوء عبادة ، ومدار الأمر فى العبادات على الاتباع ، فليس لأحد أن يخالف المأثور فى كيفية وضوئه (ﷺ) ، خصوصاً ماكان مضطرداً منها .

---

(١) أرهقنا : أى أخرنا .

(٢) انظر : ابن رشد بداية المجتهد ونهاية المقتصد جزء أول الناشر مطبعة الحلبى طبعة خامسة ص ١٥

(سـنن الوضـوء)

١ - التسمية فى أوله : -

ورد فى التسمية للوضوء ، أحاديث ضعيفة لكن مجموعها يزيدها قوة تدل على أن لها أصلاً ، وهى بعد ذلك أمر حسن فى نفسه ، ومشروع فى الجملة

٢ - السواك :-

كان من الفطرة لأنه مطهرة للفم وهو بكسير السين يطلق على الفعل وعلى العود الذى بتسوك به .

وخير مايستاك به عود الأراك الذى يؤتى به من الحجاز ، لأن من خواصه أنه يشد اللثه ، ويحول دون مرض الأسنان ، ويقوى على الهضم ويدر البول وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى (ﷺ) قال ك " السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وأخرجه أحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى والدارمى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله (ﷺ) ، قال : " لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء " رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم .

والسواك مستحب فى جميع الأوقات لكن فى خمسة أوقات أشد اسحبابا.

١ - عند الوضوء　　　　٢ - عند الصلاة .

٣ - عند قراءة القرآن .   ٤ - عند الاستيقاظ من النوم .

٥ - عند تغير الفم وقد قامت الأدلة على استحبابه فى جميع الحالات .

٣ - غسل اليدين الى الرسغين :

ذهب الجمهور إلى أنه يسن غسل الكفين الطاهرتين ثلاثا فى ابتداء الوضوء قبل المضمضة وإن لم يكن مستيقظاً من نوم ، لأن من حكى وضوء النبى (ﷺ) ، ذكر أنه غسل كفيه ثلاثا أولها من غير تقييد بكونه عن نوم (روى) حمران أن عثمان دعا بماء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما . ثم أدخل يديه فى الأناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهة ثلاثا ثم قال : رأيت رسول الله (ﷺ) توضأ نحو وضوئى هذا " أخرجه الشيخان .

وهو حق فى من استيقظ من نوم ليلاً أو نهاراً ، آكد فحديث إبى هريرة أن النبى (ﷺ) قال : " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا ، فإنه لايدرى أين باتت يده " (أخرجه الجماعة) .

٤ - المضمة والاستنشاق والاستنثار ثلاثا : --

لحديث لقيط بن حبره رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال : " إذا توضأت فمضمض " .

ولحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم ليستنثر . (رواه الشيخان وأبو داود) .

ويسن فى المضمضة والأستنشاق والاستنثار أمور سته : -

١ - أن يكونا باليمين. ٢ - أن يكونا ثلاثاً .

٣ - الأستنثار باليسرى لحديث على رضى الله عنه أنه دعا بوضوء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى ثم قال : هكذا طهور (ﷺ) . أخرجه النسائى .

٥ - تخليل اللحية والأصابع : -

تخليل اللحية : هو تفريق شعرها من أسفل إلى فوق بعد تثليث غسل الوجه . لحديث عثمان رضى الله عنه " إن النبى (ﷺ) يخلل لحيته " رواه ابن ماجة والترمذى .

تخليل الأصابع : التدليك بين أصابع اليد لحديث ابن عباس رضى الله عنهما " إذا توضأت فخلل بين أصابع يديك ورجليك " رواه أحمد والترمذى وابن ماجة .

٦ - التيامن فى الوضوء : -

أى البدء بغسل اليمين قبل غسل اليسار من اليدين والرجلين ، فعن

عائشة رضى الله عنها قال : كان رسول الله (ﷺ) ، يحب التيامن فى تنعله وترجله وطهوره ،وفى شأنه كله " (متفق عليه) وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) ، قال : " إذا لبستم إذا توضأتم فابدءوا بأيمانكم " رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وأجمع أهل السنة على أن تقديم اليمين سنه من خالفها فانه الفضل وتم وضوءه .

٧ - تثليث الغسل : -

اتفق العلماء على أن الغسلة الأولى المستوعبة فرض فى الأعضاء المذكورة " الوجه اليدين الرجلين " وأن الثانية والثالثة سنتان الحديث ابن عمر أن النبى (ﷺ) توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لايقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال هذا وضوء من يضاعف الله له الأجر مرتين وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال : " هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبل " أخرجه البيهقى .

أما مسح الرأس مرة واحدة فهو الأكثر رواية .

٨ - الموالاة : -

أى تتابع غسل الأعضاء بعضها إثر بعض ، بألا يقطع المتوضئ وضوءة بعمل أحبى ، يعد فى العرف أنصراف عنه ، وعلى هذا مضت السنة وعليها عمل المسلمون سلفاً وخلفاً .

٩ - مسح الأذنين :-

والسنة مسح باطنهما بالسبابتين وظاهرهما بالإبهامين بماء الرأس لأنهما منه . فعن المقدام ابن معد يكرب رضى الله عنه " أن رسول الله (ﷺ) ، مسح فى وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما وأدخل إصبعيه فى صماخى أذنيه " رواه أبو داود والطحاوى .

١٠ - إطالة الغزة والتحجيل : -

أما إطالة الغزة فبأن يغسل جزءاً من مقدم الرأس ، رائداً عن المفروض فى غسل الوجه . وأما إطالة التحجيل ، فبأن يغسل مافوق المرفقين والكعبين لحديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى (ﷺ) قال : " إن أمتى يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء " . قال أبو هريرة فمن أستطاع منكم أن يطيل غزته فليفعل " رواه الشيخان .

١١ - الإقتصاد فى الماء وإن كان الاغتراف من البحر : -

لحديث أنس رضى الله عنه قال : " كان النبى صلى (ﷺ) يغتسل بالصاع [١] إلى خمسة أمداد ويتوضأ بالمد " . متفق عليه .

---

(١) الصاع : أربعة أمداد والمد : ١٢٨ درهما وأربعة أسباع الدرهم ٤٠٤ سم ٣ .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) مر بسعد وهو يتوضأ فقال : ماهذا السرف ياسعد ؟ فقال : وهل فى الماء من سرف ؟ فقال : " نعم وإن كنت على نهر جار " . رواه أحمد وابن ماجه وفى سنده ضعيف .

١٢ - الدعاء أثناءه : -

لم يثبت من أدعية الوضوء شئ عن رسول الله (ﷺ) ، غير حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله (ﷺ) فتوضأ فسمعته يدعو يقول : " اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسِّع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى "

١٣ - الدعاء بعده : -

لحديث عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : " مامنكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا اله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء " رواه مسلم .

١٤ - صلاة ركعتين بعده : -

لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال لبلال : " يابلال حدثنى بأرج عمل عملته فى الإسلام إنى سمعت دُف يغلبك بين يَدَىَّ فى

الجنة . قال : ماعملت إلا وصليت بذلك الطهور ماكتب لى أن أصلى " متفق عليه وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : " ما أحد يتوضأ قال : ماعملت عملا أرجى عندى من أنى لم أتطهر طهورا فى ساعة من ليل أو منها إلا وصليت بذلك . . . فيحسن الوضوء ويصلى ركعتين يقبل بقلبه ووجهه عليهما إلا وجبت له الجنة " رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة وابن خزيمة فى صحيحة .

مكروهاته

يكره للمتوضىء أن يترك سنة من السنن المتقدم ذكرها ، حتى لايحرم ثوابها ، لأن فعل المكروه يوجب حرمان الثواب ، ويتحقق الكراهية بترك السنة.

(نواقض الوضوء)

نواقض الوضوء جمع ناقض ، والمراد به مايخرج الوضوء عن إفادة المقصود منه ، نذكرها فيمايلى : -

١ - كل ماخرج من السبيلين على وجه الصحة ، سواء أكان معتاداً كالبول ، أم غير معتاد كالحصاة ، نجساً أو غيره كريح من الدبر ، لقوله تعالى " أوجاء أحد منكم من الغائط " (سورة المائدة آية ٦) وذلك أن الغائط فى الأصل المطمئن من الأرض يقصد للحاجة ، والمجئ منه ليس ناقصاً .

فهو كناية عما يلزمه من الخارج ولحديث أبى هريرة قال : ماء أو خُراط . أخرجه أحمد والشيخان .

- الحديث يشمل كل خارج من السبيلين ، وأنما فسره أبو هريرة بأخص من ذلك ، تنبيها بالأخف على الأغلظ ومنه :

أ - الوَدى " بسكون الدال وهو ماء أبيض ثخين يخرج عقب البول غالباً

ب - والمذى بسكون الذال المعجمة : وهو ماء أبيض رقيق يخرج عند ملاعبة من يشتهى أو النظر إليه والفكر ونحوهما من كلمايؤدى إلى نزول المذى ، أما المنى فهو الذى منه الغسل ، وأما الودى والمذى فقل : أغسل ذكرك أو مذاكيرك وتوضأ وضوء الصلاة . أخرجه البيهقى .

وقال على كرم الله وجهه : كنت رجلا مذاء ، فسألت النبى (ﷺ) فقال : " من المذى الوضوء ومن المنى الغسل " أخرجه أحمد وابن ماجة والتركذى وقال هذا حديثاً حسن صحيح .

٢ - النوم المستغرق الذى لايبقى معه إدراك مع عدم تمكن المقعدة من الأرض ، لحديث صفوان بن عسال رضى الله عنه قال : " كان رسول الله (ﷺ) ، يأمرنا إذا كنا سفراً ألا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلا من جنابة ،لكن من غائط وبول ونوم " رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه .

فإذا كان النائم جالساً ممكناً مقعده من الأرض لاينتقض وضوءه ، وعلى هذا يحمل حديث أنس رضى الله عنه قال : " كان أصحاب رسل الله (ﷺ) ينتظرون العشاء الأخرة حتى تخفق رءوسهم ثم يصلون ولايتوضئون " رواه الشافعى ومسلم وأبو داود والترمذى ، ولفظ الترمذى من طريق شقيه ؛ لقد رأيت أصحاب رسول الله (ﷺ) ، يوقظون للصلاة حتى لأسمع لأحدهم غطيطا ، ثم يقومون فيصلون ولايتوضئون " قال ابن المبارك : هذا عندنا وهم جلوس .

٣ - زوال العقل ، سواء كان بالجنون أو بالأغماء أو بالسكر أو بالدواء ، سواء قل أو كثر ، وسواء كانت العقدة ممكنة من الأرض أم لا ، لأن الذهول عند هذه الأسباب أبلغ من النوم وعلى هذا اتفقت كلمة العلماء .

٤ - مس الفرج بدون حائل ، لحديث يسرة بنت صفوان رضى الله عنهما ، أن النبى صلى (ﷺ) ، قال : " من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ " رواه الخمسة وصححه الترمذى .

وقال البخارى : وهو أصح شئ فى هذا الباب رواه أيضا مالك والشافعى وأحمد وغيرهم ، وقال أبو داود : قلت أحمد حديث يسرة ليس بصحيح ، فقال : بل هو صحيح ، وفى رواية لأحد والنسائى عن يسرة : أنها سمعت رسول الله (ﷺ) ، يقول : " ويتوضأ من مسّ الذكر " وهذا يشمل ذكر نفسه وذكر غيره

، وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى (ﷺ) قال : " من أفضى بيده إلى ذكر دون ستر ، فقد وجب عليه الوضوء " رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه هو وابن عبد البر ، وقال ابن السكن : هذا الحديث من أجود ماروى من هذا الباب ، ومن لفظ الشافعى : " إذا أفضى أحدكم بيده إلى ذكره ليس بينها وبينه شئ فليتوضأ" . وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم : " أيمارجل مس فرجه فليتوضأ ، وأيما أمرأة مست فرجها فلتتوضأ " رواه أحمد . قال آبن القيم قال الحازمى : هذا إسناد صحيح ، ويرى الأحناف أن مس الذكر لاينقض الوضوء لحديث طلق : " أن رجلاً سأل النبى (ﷺ) عن رجل يمس ذكره ، هل عليه وضوء ؟ فقال : " لا إنما هو بضعة منك " رواه الخمسة .

فهـــرس

	رقم الصفحة
مقدمـــــه	١
الإسلام منهج الشمول والتوازن	٢
تفسير ســورة الحجـــرات	٢٠
مصادر الشـــريعة الإسلامية	٤٧
خصائص الشــريعة الإسلامية	٥٦
مباحــث فى علـوم القـــرآن	٦٤
حكمة نزول القـــرآن منجمـا	٧٠
جمــــع القـــرآن	٧٨
ترتيب آيات وســـور القرآن	٩٧
القـــرآن المكـى والمدنى	٩٩
الوضـــــوء	١٠٣
فرائض الوضــوء	١٠٤
ســـنن الوضوء	١١٠
نواقض الوضـوء	١١٦